الأمثال في القرآن الكريم

لابن قيّم الجوزيّة رحمه الله
٦٩١ - ٧٥١ هـ

تحقيق

سعيد محمّد نمر الخطيب

الناشر
دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الأمثال
في القرآن الكريم

الإهداء

إلى علّة كياني ووجودي ، إلى من أفنى عمره وشبابه فيّ ...
إلى من أنار الطريق وكان خير صديق ، إلى شعلة الصفاء وكل الوف
إلى ربيعي النظر ...
إلى البسمة الحلوة ، وكل الأمل والرجاء .....
إلى أمي ...
إلى أبي ...
أقدم بحثي هذا مع الدعاء وكل الرجاء أن يديم المولى على كل البشر نعمة الأبوة والأمومة . آمين .

سعيد محمد نمر الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » آمين .

أما بعد

فلقد أكرمني المولى تبارك وتعالى فأتممت تحقيق هذا الكتاب النفيس ، كتاب الأمثال في القرآن الكريم ، لابن القيم الجوزية (رحمه الله وأحسن مثوبته) .

ولقد خصصت الباب الأول والثاني من هذا الكتاب لتعريف الأمثال والباب الثالث للتعريف بابن القيم وحياته واساتذته وتلاميذه ومؤلفاته ،والباب الرابع والأخير ، لتحقيق كتاب الأمثال لابن القيم الجوزية رحمه مولاه .

وختاماً ليس لي إلا أن أردد ما قاله العماد الأصفهاني : (إني رأيت أنه لا يكتب الانسان كتاباً إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن . ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر . وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر) .

أسأله تعالى التوفيق وحسن الختام ، اللهم أغفر لكاتبها ولقارئها ومتدبرها حق تدبرها ولمصنّفها ولمحققها ، ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بيروت في ١٢ ربيع الأول / ١٤٠٠ هـ .
٣٠ كانون الثاني / ١٩٨٠ م .

سعيد الخطيب

وصف المخطوطة وخطة التحقيق

خطة التحقيق :

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب النفيس (الأمثال في القرآن الكريم ، لابن القيم الجوزية رحمه الله) على ثلاثة مخطوطات ، وعلى كتاب أعلام الموقعين لابن القيم الجوزية .

١ ـ مخطوطة مكتبة الأوقاف الموجودة ضمن مجموعة احتوت على عدة رسائل وتحمل الرقم (٦٦٨٥) .

وجعلتها الأصل ورمزت إليها بحرف (أ) .

٢ ـ مخطوطة مكتبة الجامع الكبير بعنيزة ورمزت إليها بحرف (ب)

٣ ـ مخطوطة مصورة في مكتبة والدي فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب (حفظه الله) وتحمل الرقم ١٤٥٧/م ورمزت إليها بحرف (ت) .

٤ ـ كتاب أعلام الموقعين ورمزت إليه بحرف (ث) .

خطة التحقيق :

ـ ضبط الآيات القرآنية .
ـ تخريج الأحاديث النبوية .
ـ تخريخ الأعلام .
ـ اعطاء فكرة موسعة عن الأمثال .

ـ الاستشهاد بمختارات من الأمثال من القرآن الكريم .

ـ الاستشهاد بمختارات من الأمثال الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة .

ـ الاستشهاد بمختارات من أمثال العرب .

ـ اعطاء فكرة موسعة عن ابن القيم الجوزية ، حياته ، عصره ، اساتذته.، تلاميذه ، مؤلفاته ، الخ ....

١ ـ وصف المخطوطة (أ) :

ـ أوّلها « قال شيخنا : وقع في القرآن أمثال ... » .

ـ ق = ٢٨ .

ـ كتبه : علي بن زيد آل بليس في سنة / ١٢٧٦ هـ .

ـ ٢٢ × ١٦ س [٦٦٨٥ مجاميع] ص ٤٥ .

ـ الخط مقروء معتاد .

٢ ـ وصف المخطوطة (ب) :

ـ أوّلها « قال شيخنا : وقع في القرآن ... » .

ـ خط غير واضح ولكنه مقروء .

ـ الكاتب غير واضح في نهاية المخطوطة .

ـ موجودة في عنيزة في الجامع الكبير .

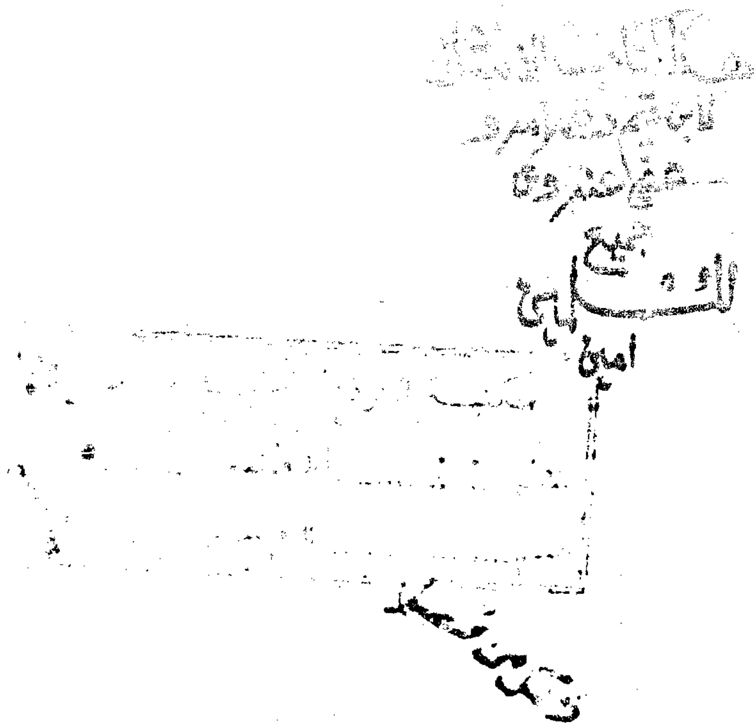
٣ ـ وصف المخطوطة (ت) :

ـ موجودة في مكتبة الشيخ محمد نمر الخطيب تحت رقم ١٤٥٧ / م مصوّرة .

ـ ٢٢ × ١٦ س .

ـ واضحة مقروءة / بغداد .

نموذج مصوّر للصفحة الأولى للمخطوطة (أ)



من فضله سبحانه على عبده
نعمان بن السيد محمود افندي
المفتي ببغداد عفي عنهما

مخطوطة (أ)

نموذج مصوّر عن الصفحة الثانية للمخطوطة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية وآله
قال الشيخ شمس الدين رحمه الله وقد وقع في القرآن أمثال وهي أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون فإنها
تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر
واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى في حق المنافقين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاء
ت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم إلى قوله إن الله على
كل شيء قدير فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلا ناريا ومثلا مائيا لما في النار من الإضا
ءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي
أنزله من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا وجعل قابليه
أحياء في النور ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى
حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام
فاستضاءوا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من
قلوبهم من نور الإسلام طفئ عنهم وذهب الله بنورهم ولم يقل بنارهم فإن النار فيها الإضا
ءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه فهو لا
يرجع إليه ولهذا قال فهم لا يرجعون ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب
وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم
وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه
الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه
جعل أصبعيه في أذنيه وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه وقد شاهدنا نحن وغيرنا
كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث
الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة
ويقول مخنثهم سدوا عنا هذا الباب واقرؤوا شيئا غير هذا وترى قلوبهم مولية وهم يجمحون لثقل
معرفة الرب سبحانه وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم وكذلك المشركون على
اختلاف شركهم إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطلة لشركهم اشمأزت قلوبهم

نموذج مصوّر عن الصفحة الأخيرة للمخطوطة (أ)

ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة وفي ضرب المثل للمؤمنين
أيضا اعتبار آخر وهو أنهما لا يضرهما عند الله شيء تحت أعداء الله تعالى اليهود
ونسبتهم إياها إلى ما برأها الله عنه تحققها الصديقة الكبرى المصطفاة على
نساء العالمين فلا يضر الرجل الصالح قذف الفجار والفساق فيه وفي هذا
تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك وتو
طين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها كما في التمثيل بامرأة
نوح ولوط تحذيرها وحفصة مما اعتمدتاه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف والتحريض لهن على الطا
عة والتوحيد والتسلية وتوطين النفس لمن أوذي منهن وكذب عليه
وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه ولاسيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها
إلا العالمون تمت بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما اللهم اغفر لكاتبها ولقاريها ومستمعها ولمن تدبرها ولمصنفها
ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين والحمد لله رب العالمين

وابنها

بقلم الفقير إلى الله تعالى علي ابن زيد
آل بلتنس غفر الله له ولوا
لديه ولجميع المسلمين

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة يوم الاثنين العاشر من شهر [illegible]
سنة ستة وسبعين بعد المئتين والألف من هجرته عليه أفضل الصلاة والسلام

مال [illegible] الر[illegible]

نموذج مصوّر للصفحة الأولى للمخطوطة (ت)

كتاب الأمثال لابن القيم الجوزية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله
قال شيخنا رحمه الله وهي في تفسير أمثال القرآن أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها
تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر وا
عتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى في حق المنافقين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاء
ت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق إلى إن الله على
كل شيء قدير فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلا ناريا ومثلا مائيا لما في النار من الإضا
ءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي
أنزله من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا وجعل قابليه
أحياء في النور ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى
حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام
فاستضاءوا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من
قلوبهم من نور الإسلام طفئ عنهم وذهب الله بنورهم ولم يقل بنارهم فإن النار فيها الإضا
ءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه فهو لا
يرجع إليه ولهذا قال فهم لا يرجعون ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب
وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم
وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه
الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه
جعل أصبعيه في أذنيه [illegible] خشية من صاعقة تصيبه وقد شاهدنا نحن وغيرنا
كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث
الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة

نموذج للصفحة الأولى للمخطوطة (ث)

فصل

ضرب الأمثال في القرآن والحكمة فيه :

(ومن هذا ما وقع في القرآن من الأمثال التي لا يَعْقِلُهَا إلا العالمون ؛ فإنها تشبيهُ شيء بشيء في حكمه ، وتقريبُ المعقولِ من المحسوس ، أو أحدِ المحسوسين من الآخر ، واعتبارُ أحدهما بالآخر ، كقوله تعالى في حق المنافقين ﴿ مَثَلُهم كمثل الذي استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصَيِّبٍ من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصَّوَاعق حَذَرَ الموتِ ﴾ إلى قوله ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين : مثلاً نارياً ، ومثلاً مائياً ، لما في النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة ؛ فإن النار مادة النور)[1] .

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم ورد في كتاب أعلام الموقعين (غير محققه) من ص (١٥٠ــ١٩٠) .

نموذج للصفحة الأخيرة من المخطوطة (ث) :

(قال يحيى بن سلام : ضرب اللهُ المثلَ الأولَ يحذر عائشة وحَفْصَة ، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة[1] .

وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم أيضاً اعتبارٌ آخَرُ وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً قَذْفُ أعداء الله اليهود لها ، ونسبتُهم إياها وابنها إلى ما بَرَّأهما الله عنه ، مع كونها الصديقَةَ الكبرى المصطفاة على نساء العالمين ؛ فلا يضر الرجل الصالح قَدْحُ الفجار والفساق فيه ، وفي هذا تَسْلِية لعائشة أَم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفْكِ ، وتَوطِين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها ، كما في ذكر التمثيل بإمرأة نوح ولوط تحذيرٌ لها ولحفصة مما اعتمدَتَاه في حق النبي ﷺ ؛ فتضمنت هذه الأمثال التحذيرَ لهن والتخويف ، والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد ، والتسليةَ وتوطينَ النفس لمن أوذِيَ منهن وكذب عليه ! وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه ، ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون) .

(١) الصفحة الأخيرة من المخطوطة (ث) والموجودة في نهاية ص ١٩٠ في كتاب أعلام الموقعين ج ١ .

الباب الأوّل

معنى المثل :

المثل : بفتح الميم والتاء في الأصل بمعنى النظير .

ثم نقل منه إلى القول السائر :

أي الفاشي الممثّل مضربُه بمورِده[1] .

وقد جاء في لسان العرب ما يلي :

ـ **إن مثل** كلمة تسوية يقال : هذا مِثْلَه ومَثَلَه . (بكسر الميم وسكون التاء) في الأول ، وفتحهما في الثاني . أي شبهه ، وشبهه بمعنى ، والفرق بين المماثلة والمساواة ، أن **المساواة** تكون بين المختلفين والمتفقين ـ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص .

ـ **وأما المماثلة** فلا تكون إلا في المتفقين .

تقول نحوْه كنحوه . ولونُه كلونه . وطعمُه كطعمه .

فإذا قيل هو مثله على الاطلاق فمعناه أنه يَسدّ مَسدّه ، **وإذا قيل** : هو مثله في كذا ، فهو مساوٍ له في جهة دون جهة . **ثم قال** : إن المثل يكون بمعنى الصفة وبمعنى الآية والعبرة .

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، جزء (٤) ص ١٣٤ طبع ليز ١٩٦٢ .

وذكر ابن العربي أن : المَثَل (بفتح الميم والتاء) **والمِثَل** (بكسر الميم وفتح التاء). عبارة عن تشابه المعاني المعقولة ، وان : المِثْل (بكسر فسكون) عبارة عن تشابه الأشخاص المحسوسة ، وقد يدخل أحدهما على الآخر[1] .

ونقل الميداني صاحب كتاب الأمثال عن المبِّرد أن (**المثل**) قول **سائر يُشّبه به حال الثاني بالأول** مأخوذ من المِثَال ، والأصل فيه التشبيه ، فقولهم : مَثُلَ بين يديه : أيّ وقف مشبهاً الصورة المنتصبة ، وفلان أمثَلُ من فلان أي أشبه بما له من الفضل .

فحقيقة المثال ما جعل كالعَلَم للتشبيه بحال الأول ، ومن هنا سُميّت الحكمُ ، القائمُ في صدقُها في العقول **امثالاً** ، لأنتصاب صورها في العقول ، مشتقة من **المثول** الذي هو الأنتصاب[2] .

ويقرّر أبو هلال العسكري صاحب كتاب جمهرة الأمثال إنّ : كلّ حكمةٍ سائرةٍ تسمّى مثلا . وقد يأتي القائلُ بما يحسن من الكلام أنْ يتمثّلَ به إلّا أنه لا يتفق أن يسيرَ فلا يكون مثلاً[3] .

ويؤخذ من هذا : أن الكلمة إذا شاعت وانتشرت وكثر دورانها على **الألسنة** تكون **مثلا** . أمّا إذا كانت الكلمة **صائبةً** وصادرة عن **تجربة** ولم تدُر على **الألسنة** فتسمّى **حكمة** .

---

(١) انظر شرح ابن العربي على الترمذي جزء (١٠) ص ٢٩٥ .
وانظر مقدمة كتاب الأمثال للميداني ، الجزء الأول في تعريف الأمثال .

(٢) انظر الأمثال ص ٥ ـ المطبعة الخيرية / وكتاب الجمهرة على هامش الأمثال ص ١٠ .

(٣) انظر الجمهرة على هامش مجمع الأمثال ص ١ـ٥ .

ـ **والمثل** كما قلنا هو الذي **يُشبَّه به حالُ الثاني بالأول** . أو هو الذي **يشبّه مضربُه بمورِده** .

والمراد بالمضرِب الحالةُ **المُشْبِهة** التي اريدت من الكلام .

والمراد **بالمورد** الحالةُ الأصلية التي ورد فيها الكلام .

وهذا التعريفُ الذي ذكرناه **مقصور** على نوع من الأمثال وهي الأمثال **السائرة** . وهو المعنى المتبادر الذي يسبق إلى الذهن عند اطلاق كلمة **الأمثال** .

لكنه لا يتناول النوع الذي يستعمل فيه لفظ (المثل) لتشبيه ، **معقول بمحسوس** أكثر **وضوحاً** ، وهو المعروف بالمثل **القياسي** كما سيأتي .

أنواع المثل :

النوع الأول :

ـ المثل **الموجز السائر** : وهو إمّا شعبي لا تعمّل فيه ، ولا تكلّفُ ولا تقيّد بقواعد النحو .

ـ وإمّا كِتَابيّ ، صادر عن ذوي الثقافة العالية **كالشعراء والخطباء** . كقولهم (رُبّ عجلةٍ تهبُ ريشا) .

ـ (كالمستجير من الرمضاء بالنار) .

ـ ومنه الحديث : (إن من البيان لسحرا) .

٢ ـ المثل القياسي :

ـ هو سرد **وصفي** أو **قصصي** أو صورة بيانية لتوضيح **فكرة** ما عن

طريق **التشبيه والتمثيل** ويسميه البلاغيون **التمثيل المركب** . فإنه تشبيه شيء بشيء **لتقريب المعقول** من **المحسوس** أو أحد **المحسوسين** إلى الآخر . أو اعتبار احدهما بالآخر لغرض **التأديب والتهذيب** أو **التوضيح والتصوير** . وهذا النوع فيه **اطناب** إذا قورن بسابقه ويجمع بين **عمق الفكرة وجمال التصوير** .

٣ ـ المثل الخرافي :

وهي **حكاية** ذا **مغزى** على لسان **غير** الانسان لغرض **تعليمي** أو **فكاهي** وما أشبه ذلك كقولهم : « أكلت يوم أُكل الثورُ الأبيضُ » .

فالفرق بين المثل **الخرافي والقياسي** ، أن الأول تُنسب **الأحاسيس الانسانيةُ** فيه إلى غير الإنسان من **حيوان** أو **طير** أو غيرهما .

ـ **أمّا المثل الثاني** أي (القياسي) : فالحيواناتُ فيه إن استخدمت لا تعدو أن تكون مجرّد توضيح للفكرة . دون أن تتعدّى القوانين التي يخضع لها نوعها .

ـ **والمثل الخرافي** يرمز إلى الأشياء ، أي يقال شيء ويراد به شيء آخر.

ـ **أمّا القياسي** فيراد به الأشياء المذكورة فيه لتوضيح الفكرة عن طريق التشبيه والتمثيل .

ضرب المثل :

ضرب **الله** سبحانه لعباده الأمثال ، وضرب **الرسول** ﷺ لأمته **الأمثال** ، وضرب **الحكماء والعلماء والمؤدبون** الأمثال ، فما معنى ضرب **المثل** ؟ ؟ ..

قد يكون **مشتقاً** من قولك (ضرب في الأرض) أي سار فيها .

فمعنى **ضرب المثل** جعله **ينتشر ويذيع ويسير في البلاد** . وإلى هذا ما ذهب إليه **أبو هلال** في مقدمة كتابه[1] .

وقد يكون معنى (ضرب المثل) **نصبه للناس** بإشهاره لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل **عيونهم** على الأشياء **المنصوبة** . واشتقاقه حينئذ من قولهم (ضربتُ الخباء) إذا نصبتَه واثبتَّ طنبه .

ـ وقوله تعالى : ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾[2] أي ينصب **منارهما** ويوضح **اعلامهما** ليعرف **المكلفون** الحق بعلاماته **فيقصدوه** . ويعرفوا الباطل **فيجتنبوه** ، كما قال **الشريف الرضيّ** في كتابه : (تلخيص البيان في مجازات القرآن) ، وقد يفهم من ضرب المثل صنعه وانشاءه فيكون مشتقاً من ضرب اللِّبْنِ وضرب الخاتم .

أو قد يكون من الضرب بمعنى : **إبقاء شيء على شيء**[3] .

ومنه ضرب الدراهم : أي إيقاع النموذج الذي به **الصّكُ** على الدراهم لتنطبع به . فكأن المثل مطابق للحالة أي للصفة التي جاء لإيضاحها وخلاصة القول : ضرب المثل مأخوذ : إمّا من :

١ ـ ضَرَبَ في الأرض بمعنى : سار .

٢ ـ **ضربه** : نصبه للناس وأشهره .

٣ ـ ضرب : صنع وأنشأ .

٤ ـ ضرب : ابقاء شيء على مثال شيء .

---

(١) انظر مقدمة كتاب جمهرة الأمثال .

(٢) سورة الرعد الآية : ١٧ م .

(٣) كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضيّ ، ص ١٠٧ .

أهمية المثل في الكلام :

ـ **للمثل** في الكلام مكانةٌ هامةٌ ووظيفةٌ لا تنكر فائدتُها ، فله تأثيرٌ عجيبٌ في الآذان ، وتقريرٌ غريبٌ لمعانيها في الأذهان .

قال ابراهيم النظّام :

ـ يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام :

١ ـ ايجاز اللفظ . ٢ ـ إصابة المعنى . ٣ ـ حسن التشبيه . ٤ ـ جودة الكفاية ، فهو نهاية البلاغة .

وقد ضرب اللهُ ورسولُه الأمثالَ للناس لتقريبِ المرادِ وتفهيمِ المعنى وإيصالِه إلى ذهن السامع ، واحضارِه في نفسه بصورة المثال الذي مثّل به فقد يكون أقرب إلى تعقّله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ـ فأن النفس تأنس بالنظائر والأشباه ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير .

ـ ففي الأمثال من **تأنّس النفس وسرعة قبولها وانقيادها** لما ضرب لها مثله من **الحق** أمر لا يجحده أحد ولا ينكره . وكلّما ظهرت **الأمثال** إزداد **المعنى ظهوراً ووضوحاً** ، فالأمثالُ **شواهد المعنى المراد** ، وهي خاصيّة **العقل ولبّه وثمرته**[١] .

التأليف في الأمثال :

ولمكانة الأمثال وأهميتها اهتمَّ **العلماء بالتأليف** فيها قديماً وحديثاً حيث **جمعوها ورتبوها وشرحوا غريبها وبيّنوا القصص** التي صدرت عنها والمناسبات التي تُضرب فيها وتُحكى .

---

(١) انظر أعلام الموقعين لأبن القيّم الجوزية ، جزء (١) ص ٢٩١ .

ونحن نشير إلى بعضها **وخاصة فيما** يتعلق بأمثال القرآن وأمثال الحديث .

فمنها :

ـ جمهرة الأمثال للعسكري . (لأبي هلال حسن بن عبد الله توفي سنة **٣٩٥** هجرية رتّبه على حروف المعجم) .

ـ مجمع الأمثال للميداني (أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري توفي سنة **٥١٨** هجرية ، جمع فيه نيّفاً وستة آلاف مثل رتّبها على حروف المعجم كذلك) .

ـ المستقصى للزمخشري .

ـ أمثال القرآن للجنيد بن محمد القواريري المتوفي سنة **٢٩٨** هجرية .

ـ أمثال القرآن لنفطوية المتوفى سنة **٣٢٣** هجرية .

ـ أمثال القرآن لمحمد ابن الحسين السلمي (**٤١٢** هجرية) .

ـ رسالة في أمثال القرآن مع شرح روضات الأمثال لأحمد بن عبد الله الكوزكفاني طبع فارس سنة **١٣٢٤** هجرية .

ـ الأمثال القرآنية لعلي ابن محمد الماوردي .

ـ أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الثالث الهجري لنوري الحق تنوير ، وهي رسالة ماجستير ، مخطوطة بمكتبة كليّة دار العلوم ومكتبة جامعة القاهرة .

ـ أمثال القرآن للدكتور محمود بن الشريف ، طبع دار المعارف مصر .

ـ الأمثال القرآنية لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، دار القلم

دمشق ـ بيروت .

ـ الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى . للدكتور عبد المجيد عابدين[1] .

المؤلفات في أمثال الحديث :

ـ أفرد الترمزي في كتابه مكاناً خاصاً تحت عنوان أبواب الأمثال عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ذكر فيه أربعة عشر حديثاً .

ـ كتاب أمثال الحديث المرويّة عن رسول الله ﷺ ، تأليف أبو محمد الحسن ابن عبد الرحمن ابن خلاد الهرمزي وهو كتاب صغير بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٩٤ حديث .

ـ كتاب الأمثال السائرة عن رسول الله ﷺ لأبي عروبة الحسين ابن محمد بن أبي معشر الحرّاني المتوفى سنة ٣١٨ هجرية .

ـ كتاب الأمثال الحديث للدكتور عبد المجيد محمود ـ كليّة دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ مكتبة دار التراث ، وهو أجمع كتاب في هذا الباب ومنه لخّصنا هذا الموضوع[2] .

والغريب أن المؤلف المذكور لم يذكر فيما ذكر من المؤلفات أو فيمن ألّف من الأمثال كتاب (أمثال القرآن لأبن القيّم الجوزية) والظاهر أنه لم يسمع به ، لأنه مخطوط من مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في بغداد .

---

(١) للاستزادة انظر جدول الكتب التي ألّفت في هذا الباب في خاتمة بحثنا .

(٢) انظر المصدر المذكور من ص ٨٢ـ٩٠ .

ـ إلّا أن بروكلمان أشار إلى هذا الكتاب في سياق سرده لكتب[1] ابن قيّم الجوزيّة .

ـ كما اثبته اسماعيل باشا البغدادي في كتابه هدية العارفين / اسماء المؤلفين وآثار المصنفين[2] .

ـ أمثال الضبّي ، لمفضل الضبّي (ت ١٨٠ هـ) ، وقد طبع فيما نعلم طبعتين : الأولى في مطبعة الجوانب بالقسطنطينية ١٣٠٠ هـ ، والثانية بالقاهرة ١٣٢٧ هـ .

ـ كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبّي (ت ٢٥٠ هـ) وقد نشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٧٤ م بتحقيق د . رمضان عبد التواب . والكتاب يشتمل على مآئة وأحد عشر مثلاً .

ـ كتاب الأمثال لأبي فيد مؤرج السدوسي (ت ١٩٨ هـ) وقد نشر مرتين ، مرة في القاهرة نشره د . رمضان عبد التواب . ١٩٧١ ، وأخرى في السعودية بتحقيق د . أحمد محمد الطبيب ١٩٧٠ .

ـ الأمثال لزيد بن رفاعة ، نشر بحيدر أباد بالهند سنة ١٣٥٨ هـ .

ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري بتحقيق عبد المجيد عابدين واحسان عباس . والكتاب اصلا لأبي عبيد ابن سلام (ت ٢٢٤) . وشرحه أبو عبيد البكري . طبع مرة في الخرطوم سنة ١٩٣٧ وثانية ببيروت سنة ١٩٧١ م .

---

(١) كتاب بروكلمان جزء (٢) ص ١٠٦ .

(٢) كتاب هدية العارفين / اسماء المؤلفين وآثار المصنفين جزء (٦) ص ١٥٨ .
وكتاب طبقات المفسرين ٩٣/٢ .
وكتاب كشف الظنون ١٦٨/١ .

ـ الفاخر للمفضل بن سلمة (ت ٢٩١ هـ) نشره الأستاذان عبد العليم الطحاوي ومحمد علي النجار سنة ١٩٦٠ مصر . ويشتمل الكتاب على خمسمائة وواحد وعشرين مثلاً .

ـ أمثال القرآن للشريف منصور عون العبدلي ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٩٤ هـ .

ـ المثل المقارن ـ بالعربية والانكليزية للاستاذ ممدوح حقي توزيع دار المعرفة ـ بيروت .

ـ الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة للاصفهاني . حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٥١ هـ) تحقيق الأستاذ عبد المجيد قطامش ، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

ـ جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) بتحقيق الاستاذين محمد أبي الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش سنة ١٩٦٤ ـ مصر . وكان الكتاب قد نشر قبلاً على هامش كتاب الميداني بالهند سنة ١٣١٠ هـ ، وقبل ذلك صدر في طبعة مستقلة بالهند سنة ١٣٠٧ هـ .

ـ المستقصى في الأمثال للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) بتحقيق الدكتور محمد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد بالهند سنة ١٩٦٢ م في جزئين .

ـ مجمع الأمثال للميداني (ت ٥١٠ هـ) ج(٢) .
وقد طبع هذا الكتاب طبعات متعددة منها في القاهرة ١٢٨٤ هـ . وطهران ١٢٩٠ هـ وبيروت ١٩٦١ م .

ـ كتاب الأمثال للطالقاني علي بن الفضل (ت ٤٢١ هـ) .

ـ كتاب الأمثال لأبي الفضل الميكالي عبيد الله بن أحمد (٤٣٦ هـ) وقد طبع بتحقيق زكي مبارك ١٣٤٤ هـ بالقاهرة .

ـ أمّا **كتب الأمثال** التي **لم تر النور بعد** ، وما زالت حبيسة في خزائن دور الكتب والمتاحف ، فهي في حدود معرفتنا بها :

ـ مخطوط لابن الأنباري محمد بن القاسم وهو موجود في استنبول وذكره ابن خالكان ٢/٥٥ ، كما ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسته .

ـ الأمثال للأصمعي ، ذكره ابن خير ٣٤٠ .

ـ الأمثال لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري ، ذكره ابن خير ٣٧١

ـ الأمثال الكامنة في القرآن والسنّة للحسن بن الفضل ٧٥ .

ـ مجامع الأمثال للبيهقي ، تلميذ الميداني (ت ٥٦٥ هـ) .

ـ الأمثال للثعالبي موجود في مكتبة الأحمدية بتونس تحت رقم ٤٧٩٤ ومكتوب في القرن الحادي عشر للهجرة .

ـ جوهرة الأمثال لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) ـ الأحمدية بتونس تحت رقم ٤٧٩٢ .

ـ زبدة الأمثال للزمخشري ، الأحمدية بتونس تحت رقم ٥٦٤٥ .

ـ الأمثال لعبيد بن شريه الجرهمي ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٩٠ .

ـ الأمثال لصحار بن العياش العبدي ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٩٠ .

ـ الأمثال لعلاقة الكلافة ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٩٠ .

تقسيم وتعريف آخر للأمثال

ضرب الأمثال :

وهو ضرب سام من فصيح الكلام جرى عليه القرآن الكريم لتأكيد معنى أو بيان غاية . وابن القيم لا يني يضرب الأمثال للفهم عنه ، يقول الله : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الّا العالمون﴾[1] .

وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ مثلاً ولم يفهمه ويقول : « لست من العالمين » .

وقد اشتمل القرآن على بضعة واربعين مثلاً كما ذكر ابن القيم ذلك في شرح القصيدة النونية في المقدمة[2] .

المثل لغة :

صيغة المثل وما يشتق منها **تفيد التصوير والتوضيح ، والظهور والحضور والتأثير.**

فالمثل هو الشيء **المضروب** الممثّل به الذي تتضح به **المعاني** وهو **صفة الشيء** أيضاً .

(١) سورة العنكبوت الآية : ٤٣ .

(٢) القصيدة النونية لابن القيم ص ١٢ .

ولما كان يترك من الأثر في النفوس ما يترك فإنه أطلق على الآية وعلى العبرة ، وعلى العقوبة ، وعلى القصاص ، وعلى التنكيل ، وعلى الامتثال للأمر ، وعلى الاستهداف ، مع خلافٍ طفيفٍ في المادة من معنى إلى معنى .

- فهي مَثَلٌ في الآية والعبرة .
- وهي مثلة في العقوبة .
- ومثل في القصاص ، وفي تنفيذ الأمر .
- وفي الاستهداف .
- ومثل في التنكيل .

واطلق لفظ المثال على **القالب** ، **والفراش** ، **والمقدار** والمثلية واضحة بين **المثال** وبين هذه **الأسماء** ، ويقال عن المريض إذا بريء من علته **تماثل** للشفاء ، أي أنه أصبح مثل الصحيح ، أو أنه نهض من فراشه وانتصب ، وأصبح ماثلاً أي واضحاً ، وعندما تبرز شخصية بين قومها فإنه يقال عنها : أمثل القوم ومثلى النساء ، ومنه الطريقة المثلى[1] وسميّت الحكم القائم ، ثم صدقها في العقول أمثالاً ، **لأنتصاب صورها في العقول** ، وهي مشتقّة من **المثول** الذي هو **الانتصاب**[2] .

وهكذا يظهر لنا أنّ مادة (مثل) ومشتقاتها تستهدف تجسيم المعاني وابرازها بطريقة جليّة ، كما أنهّا تفيد **المشابهة والمساواة والظهور والحضور**[3] .

---

(١) لسان العرب جزء (١١) ص ٦١٠-٦١٦ .

(٢) مجمع الأمثال جزء (١) ص ٦ .

(٣) كتاب المثل في القرآن والكتاب المقدّس (رسالة ماجستير) مخطوطة ـ بجامعة بغداد ـ للشيخ عبد الرحمن محمود عبد الله ص ٢ ـ ١٩٧١ ـ .

قال الراغب في مفردات القرآن :

المثل : أصل المثول : الانتصاب .

والمُمثَّلُ المصوّر على مثال غيره ، يقال : **مَثُل** الشيء أي انتصب **وتصوّر** ، ومنه قوله ﷺ : (من أحب أن يُمثَّل ، له الرجال فليتبوأ مقعده من النار) .

والتمثال (الشيء المصوّر) وتمثّل كذا تصوّر ، قال تعالى : ﴿ فتمثّل لها بشراً سويّاً﴾ (١) .

والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء **آخر** ، بينهما **مشابهة** ، ليبيّن أحدهما الآخر ـ ويصوّره . نحو قولهم : الصيف ضيّعت **اللّبن** . فإن هذا القول يشبه قولك : اهملت وقت الأمكان أمرك . وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال الخ ...

ثم قال : والمثل يقال على وجهين احدهما بمعنى المثل أي الشبه . وقد يعبّر عنه بالوصف كقوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ (٢) أي وصفها . **والثاني عبارة** عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان ، وهو أعمّ **الألفاظ الموضوعة للمشابهة** ، ولهذا نفى الله عنه **المشابهة** من كل **وجه** فقال : ﴿ ليس كمثله شيء﴾ (٣) . وقيل المثل هنا بمعنى الصفة ومعناه ليس كصفته صفة ، وقد منع الله تعالى عن ضرب الأمثال له ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال﴾ (٤) .

---

(١) سورة مريم الآية : ١٧ ك ١٩ .

(٢) ٣٥ م سورة الرعد الآية : ١٣ .

(٣) ١١ ك سورة الشورى الآية : ٤٢ .

(٤) ٧٤ ك سورة النحل الآية : ١٦ .

ثم قال : والمثال مقابلة شيء بشيء هو نظيره .

أو وضع شيء ما ليحتذى به فيما يفعل[1] .

ـ لقد **تعرّضنا** لتعريف المثل **لغة واصطلاحاً وسردنا** اراء كثير من العلماء في هذا الموضوع .

ولنختم هذا البحث بمقال طريف عنه باسلوب النظم ذلك أن العلامة اللغوي الأديب السيد الشيخ[2] ابراهيم ابن السيد علي الأحدب الطرابلسي الحنفي نزيل بيروت رحمه الله تعالى وتغمده برحمته ، قد نظم مجمع الأمثال للميداني واسماه فرائد اللآلئ في مجمع الأمثال .

قال :

---

(١) انظر مفردات الراغب ص ٤٦٢ بتصرف (دار المعرفة) بيروت .

(٢) ولد رحمه الله في بلدة طرابلس الشام سنة ١٩٤٢ هـ، درس على جلّة علماء بلده ونبغ في كثير من العلوم وقال الشعر حتى بلغ ما نظمه نحو ثمانين الف بيت ، وكان سريع الخاطر ينظم كل ما يقترح عليه وله مؤلفات جمّة في مختلف العلوم ، لبّى نداء ربه في ٢٢ رجب سنة ١٣٠٨ ودفن بالباشورة في بيروت رحمه الله ، انظر ترجمته في أوائل كتاب فرائد اللآلئ .

مقدمة في معنى المثل وما قيل فيه :

إصْغ إلى تحقيق معنى المثـــــل واغـن بنور شمسنا عن زحـل
ذلك قول سائر شبّــه بـــــــه بأول حالــة ثان فانتبـــه
وهو من المثال والتشبيه فـــــي معنــاه أصل فتأمــل واعرف
فقولهم بين يديه مثــــــــــلا أشبه بانتصابه حين انجلـــى
لصورة منصوبة وأمثـــــــــل أشبه معنـــاه على ما نقلـــوا
إذا فكنـــه مثــلاً ما جعـــــلا علـــم تشبيه بحـــال أوّلا
كقول كعب للّتي بها اشتغـــــل كانت مواعيد عرقوب مثل

ـ قال **المبرّد** : المثل مأخوذ من **المثال** ، وهو قول سائر يشبّه به حال **الثاني بالأول** . والأصل فيه **التشبيه** ، فمعنى مَثُلَ بين يديه إذا انتصب أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان أي أشبه بما له من الفضل .

ـ **والمثال القصاص** لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

ـ **فحقيقة** المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول **كعب بن زهير** :

كانت مواعيد عرقوب لها مثــلا وما مواعيدها الّا الأباطيـــل

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصلح من المواعيد .

وقيل لفظ المثل الذي يـــــرى مخالفاً لفظا لمضروب جـرى
موافقـــا معنـــاه معنـــى ذاك إذ شبّـــه بالمثـــال بل منـه أخذ
وهو الذي عليه غيره عمـــــل هذا الذي عـــن ابن سكّيت نقل

قال ابن السكّيت :

ـ « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره » .

وقيل إنّ الحكـم التي تـرى   منصوبة في العقل صدقـاً صورا
قد أشبهت في نصبها تمثـالا   لأجل هذا سميّت مثـالا

قال غير **المبرّد** وابن **السكّيت** :

سميّت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لأنتصاب صورها في العقول مشتقة من **المثول** الذي هو الانتصاب :

واجتمعت أربعة في المثـل   منها سواه قد خـلا كل جلي
إيجـاز لفظ وإصابة لمـا   عنـي وتشبيـه بحسن ورسما
رابع هذى جودة الكنايـة   بها البليـغ أدرك النهايـة
وجعلك الكـلام يبـدو مثـلا   أوضح للمنطق في ما نقـلا
ولشعوب ما حكيت أوسـع   وهو يرى آنـق حـين يسمع

قال ابراهيم النظّام :

يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : ١ ـ إيجاز اللفظ ، ٢ ـ إصابة المعنى . ٣ ـ حسن التشبيه . ٤ ـ جودة الكتابة ، فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع ، وأوسع لشعب الحديث .

والمثل في ما قيل مثـل المثـل   وهكذا البـدل يرى كالبـدل
والشبه مثل شبه والنكّـل   كالنكل في المعنى على ما نقلـوا

فالمثـل ما الشيء بـه يمثّـل لكنّه موضـع ذا لا يجعـل
وإن غدا موضع ذاك يوضـع هذا على ما قاله من يسمـع
إذ صار لفظ مثـل مصرّحـا لذا الذي يضرب في ما أوضحا
ثم يرّد للـذي قد كان لـه شاهده ما قاله من مثّلـه
في قول ربّ الخلـق ساء مثلا ومثل الجنّـة جـل وعـلا
هذا الذي حرّره الميـداني في الأصل قد نضّده بيانـي

ـ **قال الميداني** : أربعة أحرف سمع فيها : **فِعْلُ** وفُعَل وهي **مِثْلٌ ومَثَلٌ وشِبْهُ وشَبَهُ أو بِدْلُ وبَدَلُ** ، **ونِكْلُ** ، فمثل الشيء ومثلُهُ ، وشبهُهُ وشبهه ما يُماثِله ويشابهُه قدراً وصفةً .

ـ وبذل الشيء وبذله غيره ..

ـ ورجل نكل ونكل للذي ينكّل به اعداؤه .

ـ وفصيل لغة في ثلاثة من هذه الأربعة :

ـ يقال : هذا مثيله وشبيهه وبديله ولا يقال نكيله .

ـ فالمثل ما يمثل به الشيء ، أي يشبّه . كالنكل من ينكل به عدوه .

ـ غير أن المثل لا يوضع في موضع هذا المثل ، وإن كان المثل يوضع موضعه كما تقدّم الفرق . فصار المثل اسماً مصرحاً لهذا الذي يضرب ثم يردّ إلى أصله الذي كان له من الصفة . فيقال : مثلك ومثل فلان ، أي صفتك وصفته . ومنه قوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ [1] أي صفتها . ولشدة امتزاج معنى الصفة به صح أن يقال : جعلت زيداً مثلاً والقوم أمثالا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ساء مثلا القوم﴾ [2]

(١) ٣٥ م سورة الرعد الآية : ١٣ .
(٢) ١٧٧ ك سورة الأعراف الآية : ٧ .

جعل القوم أنفسهم مثلاً في أحد القولين . والله أعلم[1] .

ـ ﴿ وتلك **الأمثال** نضربها للناس ، وما **يعقلها** إلّا **العالمون**﴾[2] .

ـ ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وانّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [3]

ـ ﴿ ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ﴾[4]

ـ عقل : العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم .

ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة .

ـ ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه :

العقل عقلان : مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع ، إذا لم يك مطبوع

كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع

ـ **وإلى الأول** أشار ﷺ بقوله :

(ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل) .

ـ **وإلى الثاني** أشار بقوله : (ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى ، أو يردّه عن ردى) وهذا العقل هو المعنّي بقوله : ﴿ وما يعقلها إلّا العالمون﴾ وكل موضع ذمّ الله فيه الكفار بعدم العقل فاشارة إلى الثاني دون الأول نحو ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق﴾ إلى قوله : ﴿ صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ [5]

---

(١) انظر فرائد اللالىء ص ١٠ـ١٢ .

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٢٩ .

(٣) سورة العنكبوت الآية : ٤٢ .

(٤) سورة العنكبوت الآية : ٤٣ .

(٥) ١٧١ م سورة البقرة الآية : ٢ .

وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة إلى الأول .

وأصل العقل الأمساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال[1] .

العالمون :

العلم ادراك الشيء بحقيقته ، وذلك ضربان : ـ الأول : إدراك ذات الشيء ، ـ والثاني : الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه .

ـ والعلم من وجه ضربان : **نظري وعملي** .

ـ ومن وجه : **عقلي وسمعي**[2] .

اتخذ :

بمعنى : أخذ .

أولياء :

الولاية النصرة ، والولاية تولّي الأمر .

وأصلها القرب ، مكان ، بنسبة ، دينا ، صداقة ، نصرة ، اعتقاد[3] .

وهن :

ـ الوهن الضعف من حيث الخَلق أو الخُلق[4] .

---

(١) مفردات ص ٢٤١ـ٢٤٢ .

(٢) انظر المفردات ص ٣٤٣ .

(٣) انظر المفردات ص ٥٣٤ .

(٤) انظر المفردات ص ٥٣٥ .

ـ ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، فلمّا اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلمّا أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، أنّ الله على كل شيء قدير ﴾[1] .

ـ **أخرج الفرياني** وابن **جرير** عن **مجاهد** قال : **أربع آيات** من أول البقرة في المؤمنين ، **وآيتان** في الكفار ، **وثلاث عشر آية** في المنافقين .

أسباب نزول الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ أو كصيب ﴾ الآية أخرج ابن **جرير** من طريق **السدي** عن أبي **مالك** وإلى **صالح** عن **ابن عباس** ، وعن **مرّة** عن ابن **مسعود وناس** من **الصحابة** قال : قالوا كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين فاصابهما هذا المطر الذي ذكر الله : فيه رعد شديد وصواعق وبرق . **فجعلا** كلما أصابتهما الصواعق جعلا اصابعهما في آذانهما من الخوف أن تدخل الصواعق في مسامعهما **فتقتلهما** ، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه ، وإذا لم يلمع لم يبصرا . فأتيا مكانهما يمشيان **فجعلا يقولان** ليتنا **قد** أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده . فأتياه فاسلما ووضعا أيديهما في يده ، وحسن اسلامهما .

فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة . وكان المنافقون إذا **حضروا** مجلس النبيّ ﷺ جعلوا أصابعهم

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٦ــ٢٠ .

في آذانهم من كلام النبيّ ﷺ ، خشية أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان اصابعهما في آذانهما . وإذا اضاء لهم مشوا فيه . فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصابوا غنيمة أو فتحا مشوا فيه وقالوا : إن دين محمد حينئذ صدق واستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهما البرق ، وإذا أظلم عليهم قاموا .

ـ **وكانوا** إذا هلكت أموالهم وولدهم وأصابهم البلاء ، قالوا : هذا من أجل دين محمد ، وارتدوا كفارا كما قال ذانك المنافقان حين أظلم عليهما[1] .

ـ ﴿أنزل من السمآء مآء فسالت أودية بقدرها فاحتمل **السّيل** زبداً رابياً ، وممّا يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو **متاع** زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحقّ والباطل ، فامّا الزبد فيذهب جفاء وامّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾[2] .

ـ ﴿يضرب الله الحق والباطل﴾[3] .

رابيا :

ـ عالياً عليه ، جفاء : باطلا مرمياً .

ـ ما ينفع الناس من الماء والجواهر .

---

(١) انظر ص ٨ و٩ من كتاب الباب المنقول في أسباب النزول للسيوطي على هامش تفسير الجلالين : مطبوعات مكتبة محمد نهاد هاشم الكتبي .

(٢) سورة الرعد الآية : ١٩ .

(٣) انظر تفسير الجلالين ص ٣٢٠ / سورة الرعد الآية : ١٧/١٣ م .

جفاء :

وهو ما يرمي به **الوادي** أو القدر من القتاد إلى جوانبه يقال أجفأت القدر زبدها القته اجفاء . وأجفأت الأرض صارت كالجفاء في ذهاب خيرها ـ وقيل أصل ذلك (الواو لا الهمز) .

ـ ويقال جفت القدر وأجفت ومنه الجفاء ، وقد جفوته أجفوه جفوه وجفاء . ومن أصله أخذ ، جفا السّرج عن ظهر الدابة رفعه عنها[1] .

السّيل :

أصله مصدر وجعل أسماء للماء الذي يأتيك ولم يصبك مطره قال : ﴿ **فاحتمل السّيل زبداً رابياً** ﴾ .

رابياً :

ومنه ربا إذا زاد وعلا[2] .

يوقدون :

وقد يقال وقدت النار يقد وقوداً ووقداً والوقود يقال للحطب المعجول للوقود ، ولما حصل من اللهب[3] .

متاع :

ـ متع : المتاع الامتداد والأرتفاع ، يقال : متع النهار ومتع النبات

---

(١) المفردات ص ٩٤ .

(٢) المفردات ص ١٨٦ .

(٣) المفردات ص ٥٢٩ .

إذا أرتفع في أول النبات ،

ـ والمتاع انتفاع ممتد الوقت ، يقال متّعه الله بكذا وامتعه ، وتمتع به .
ـ ويقال : لما ينتفع به في البيت متاع قال : ﴿ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾[1] .

ـ وكل ما ينتفع به على وجه ما فهو متاع ومتعة ﴿ولما فتحوا متاعهم﴾[2] .

الحق :

الأمر الثابت .

الباطل :

نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه [3] .

مكث :

المكث ثبات مع انتظار[4] .

حصد :

اصل الحصد قطع الزرع .
ـ **قال تعالى :** ﴿وآتوا حقّه يوم حصاده﴾[5] فهو الحصاد المحمود

---

(١) ١٧ م سورة الرعد الآية : ١٣ .
(٢) ٦٥ ك سورة يوسف الآية : ١٢ .
(٣) المفردات ص ٤٧٠ .
(٤) المفردات ص ١٢٠ .
(٥) ٤١ م سورة الأنعام الآية : ٦ .

في ابّانه .

ـ **وقوله تعالى** : ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً **فجعلناها حصيدا** كأن لم تغن بالأمس﴾[1] فهو الحصاد في ابّان على سبيل الأفساد[2] .

نفصّل الآيات :

فصّل :

ـ الفصل أبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة ومنه قيل المفاصل ، وفصلت الشاة قطعت مفاصلها[3] .

ـ وتفصيل الآيات إظهارها وابانتها ، وإزالة الخفاء عنها .

التفكر :

ـ جولان ، الفكر فيما يريد إدراكه والوصول إليه .

اختلط :

ـ الخلط : الجمع بين أجزاء الشيئين فصاعدا وهو أعمّ من المزج[4] .

والنعم :

ـ مختص بالأبل وجمعُه انعام ، وتسميته بذلك لكون الابل أعظم نعمة لكن الأنعام تقال للأبل والغنم والبقر ، ولا يقال لها انعام حتى يكون في جملتها الابل ﴿ممّا يأكل الناس والأنعام﴾[5] فالأنعام هنا عام

(١) ٢٤ ك سورة يونس الآية : ٢٤ .
(٢) المفردات ص ٥٠ .
(٣) المفردات ص ٣٨٠ .
(٤) المفردات ص ١٥٥ .
(٥) سورة يونس الآية : ٢٤ ك .

في الابل وغيرها[1] .

ـ ﴿ إنما مثل الحيوة الدنيا كمآء انزلناه من السمآء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل النّاس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض **زخرفها وازيّنت وظن** أهلها أنهم قادرون عليها آتـها **أمرنا** ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون ﴾[2] .

الزخرف :

زخرف : الزخرف الزينة المزوقة ومنه الذهب .

ـ وقال : ﴿ أخذت الأرض زخرفها ﴾ وقال : ﴿ بيت من زخرف ﴾[3] أي ذهب مزوّق ، وقال ﴿ وزخرفا ﴾ وقال : ﴿ زخرف القول غرورا ﴾ أي المزوّقات من الكلام[4] .

وازيّنت :

يقال زانه كذا وزيّنه إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول[5] .

ظن :

الظن : اسم لما يحصل عن إمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم ، وقوله تعالى : ﴿ وظن أهلها أنهم

---

(١) المفردات ص ٤٩٩ .

(٢) سورة يونس الآية : ٢٤ ك .

(٣) ٩٣ ك سورة الابراء الآية : ١٧ .

(٤) ١١٢ ك سورة الأنعام الآية : ٩ .

(٥) المفردات ص ٣١٣ .

(٦) المفردات ض ٢١٨ .

قادرون عليها﴾ تنبيهاً أنهم صاروا في حكم العالمين لفرط طمعهم وأملهم[1] .

﴿ والله **يدعو** إلى **دار السلام** ، **ويهدي** من يشآء إلى **صراط** مستقيم﴾ [2] .

الدعاء :

كالنداء إلّا أن النداء قد يقال بيا أو **أيا** ونحو ذلك من غير أن يضمّ إليه الاسم ، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معة الاسم نحـو يا فلان وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر .

والدعاء إلى الشيء : الحث على قصده ﴿ والله يدعو إلى دار السلام﴾ .

الدار :

المنزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط .

وتسمى الدنيا داراً ، والآخرة داراً . إشارة إلى المقرّبين في النشأة الأولى والنشأة الأخرى .

السلام :

سلّم : السّلم والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة قال تعالى : ﴿ بقلب سليم﴾[3] أي متعرٍ من الدغل فهذا في الباطن .

---

(١) المفردات ص ٣١٧ .

(٢) سورة يونس الآية : ٢٥ .

(٣) ٨٩ سورة الشعراء الآية : ٣٦ .

ـ وقال تعالى : ﴿ مسلمة لا شيه فيها ﴾[1] وهذا في الظاهر .

ـ والسلامة الحقيقية ليست إلّا في الجنة ، إذ فيها بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعزّ بلا ذل ، وصحة بلا سقم ، كما قال تعالى : ﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾[2] أي السلامة وقال : ﴿ والله يدعوإلى دار السلام ﴾ .

ـ وقيل السلام اسم من أسماء الله تعالى وكذا قيل في قوله تعالى : ﴿ لهم دار السلام ﴾ وسمّي تعالى بذلك لعدم لحوقه أي آفة أو عيب التي تلحق الخلق[3] .

يهدي :

هدى : الهداية ذلالة بلطف ، ومنه الهدية .

فإن قيل : كيف جُعلت الهداية دلالة بلطف وقد قال تعالى : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾[4] ﴿ ويهديه إلى عذاب السعير ﴾[5] .

الجواب : إن ذلك مستعمل على سبيل التهكم والمبالغة كقوله تعالى : ﴿ فبشّرهم بعذاب اليم ﴾[6] .

قال الشاعر : تحية بينهم ضرب وجيع .

---

(١) ٧١ م سورة البقرة الآية : ٢ .
(٢) ١٢٧ ك سورة الأنعام الآية : ٦
(٣) المفردات ص ٢٣٩ـ٢٤٠ .
(٤) ٢٣ ك سورة الصافات الآيَة : ٣٧ .
(٥) ٤ م سورة الحج الآية ٢٢ .
(٦) ٢٤ ك سورة الانشقاق الآية : ٨٤ .

والهداية في القرآن على أقسام :

١ ـ ما أعطاه تعالى للمكلفين من عقل وفطنة ومعارف ضرورية من هذا قوله تعالى : ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم **هدى**﴾ [١] .

٢ ـ دعوة الناس بعضهم لبعض للإيمان والخير ومنه قوله تعالى : ﴿وجعلنا منهم أئمة **يهدون بأمرنا**﴾[٢] .

٣ ـ توفيق الله تعالى لمن يشاء ومنه قوله تعالى : ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ وقوله : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[٣] وقوله : ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[٤] .

٤ ـ الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة ومنه قوله[٥] ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾[٦] .

يشاء :

ـ المشيئة والإرادة بمعنى واحد عند أكثر المتكلمين . والمشيئة من الله تعالى تقتضي وجود الشيء ما شاء الله كان[٧] .

ـ ﴿مثل الفريقين **كالأعمى والأصمّ** ، والبصير والسميع هل

---

(١) ٥٠ ك سورة طه الآية : ٢٠ .
(٢) ٢٤ ك سورة السجدة الآية ٣٢ .
(٣) ٦٩ ك سورة العنكبوت الآية : ٢٩ .
(٤) ٢١٣ م سورة البقرة الآية : ٢ .
(٥) المفردات بتصرف ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩ .
(٦) ٤٣ ك سورة الأعراف الآية : ٧ .
(٧) المفردات بتصرف ص ٢٨٠ .

يستويان مثلاً أفلا تذكّرون﴾[1] .

الفريق :

الجماعة المتفرّقة عن آخرين ، ومنه فريق في الجنة وفريق في السعير ، الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتباراً بالإنشقاق ، والفرق يقال اعتباراً[2] بالإنفصال .

العمى :

عمى : يقال في افتقاد البصر والبصيرة ، والعماء السحاب ، والعماء الجهالة ، وجمع أعمى ، عمي وعميان يقال في عمى البصر المحى ، وفي عمى البصيرة أعمى وعم ، وعلى الثاني ما ورد في القرآن من ذم العمى ﴿صم بكم عمي﴾[3] بل لم يعدّ افتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة عمى حتى قال : ﴿فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[4] .

صمم :

الصّمم : فقدان حاسة السمع ، وبه يوصف من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله . قال : ﴿صمّ بكم عمي﴾ وصمّم في الأمر مضى فيه غير مصغ إلى من يردعه كأنه أصمّ[5] .

---

(١) سورة هود الآية : ١١ .

(٢) المفردات ص ٣٧٧ .

(٣) ١٨ م سورة البقرة الآية ٢ .

(٤) المفردات ص ٣٤٨ / سورة الحج الآية : ٤٦/٢٢ م .

(٥) المفردات ص ٢٨٦ .

المساواة :

المعادلة والتساوي بين أمرين[1] .

ذكر :

الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للأنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو **كالحفظ** إلّا أن الحفظ يقال اعتباراً باحرازه ، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره وتارة يقال لحضور الشيء القلب والقول ، ولذلك قيل : الذكر ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان وكلّ منهما قسمان ذكر عن نسيان ، وذكر لا عن نسيان بل عن ادامة الحفظ .

ـ فمن الذكر باللسان قوله تعالى : ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾[2] .

ـ ومن الذكر عن نسيان قوله تعالى : ﴿ فأني نسيت الحوت وما انسانيه إلّا الشيطان أن أذكره ﴾[3] .

ـ ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى : ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً ﴾[4] .

ولهذا يشير ابن القيّم إلى الآيات السابقة لتعلقها بهذا المثال .

---

(١) المفردات ص ٢٥٠ .

(٢) ١٠ ك سورة الأنبياء الآية : ٢١ .

(٣) ٦٣ ك سورة الكهف الآية : ١٨ .

(٤) المفردات ص ١٧٩ / سورة البقرة ٢/٢٠٠ م .

الآيات :

ـ﴿ الذين **يصدون** عن **سبيل الله** ويبغونها **عوجا** وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا **معجزين** في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع ، وما كانوا يبصرون﴾[1] .

ـ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾[2] .

ـ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، واخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾[3] .

ـ﴿ مثل الفريقين﴾ الخ ...[4] .

يصدون :

صدّ : الصدود والصّد قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً نحو (يصدون عنك صُدوداً) وقد يكون صرفاً ومنعاً قال تعالى : ﴿ وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل﴾[5] ونحو﴿ ويصدون عن سبيل الله﴾[6] .

---

(١) ٤٥ ك سورة الأعراف الآية : ٧ .

(٢) ٢١ ك سورة هود الآية : ١١ .

(٣) ٢٣ كسورة هود الآية : ١١ .

(٣) ٢٣ ك سورة هود الآية : ١١ .

(٤) سورة هود الآية : ١٨/٢٣ .

(٥) ٢٤ ك سورة النمل الآية : ٢٧ .

(٦) المفردات ص ٢٧٦ / ٤٧ م سورة الأنفال الآية : ٨ .

السبيل :

من سبل : السبيل الطريق الذي فيه سهولة ، وجمعه سبل ويعني السبيل طريق الحق ـ ويستعمل السبيل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيراً كان أو شراً[1] .

ـ عوج :

العوج العطف عن حال الانتصاب ، والعوج يقال فيما يدرك بالبصر سهلاً كالخشب المنتصب ونحوه ، والعوج يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة . كما يكون في أرض بسيط يعرف تفاوته ، بالبصيرة وكالدّين والمعاش ـ ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾[2] ﴿ والذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً﴾[3] .

ـ أعجز :

أصل العجز : التأخر عن الشيء ، وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره . أمّا في التعارف فهو القصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة .

ـ يفترون :

افتر : من فرى ، **الفرى** قطع الجلد للخرز والأصلاح ، والأفراء للافساد ، **والافتراء** فيهما وفي الافساد أكثر ، وكذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم .

---

(١) المفردات ص ٢٢٣ .

(٢) ٢٨ ك سورة الزمر الآية : ٣٩ .

(٣) ٤٥ ك سورة الأعراف الآية : ٧ .

لا جرم :

قال **الفرّاء** : هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة « لا بد » « ولا محالة » فجرت على ذلك وكثرت حتى تحوّلت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة **حقا** فلذلك يجاب عنها بالسلام كما يجاب عن القسم : ألا تراهم يقولون : لا جرم لآتينّك [1] .

﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾ [2] معناها ليس بجرم خسارة أنفسهم في الآخرة ، لأنهم اكتسبوا ذلك بأعمالهم السيئة لقوله ﴿ فمن اساء فعليها ﴾ ـ ﴿ وأخبتوا إلى ربهم ﴾ [3] ـ أصل الخبت الواطىء من الأرض ثم استعمل بمعنى اللين والتواضع والخشوع [4] .

تابع لمثل العنكبوت :

ـ ﴿ واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ﴾ [5] .

ـ ﴿ كلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴾ [6] .

والمعنى : أن الآلهة ستكون شراً عليهم ، حال كونهم اضداداً وخصوماً .

---

(١) مختار الصحاح ص ١٠ .

(٢) ١٠٩ ك سورة النمل الآية ١٦ .

(٣) ٢٣ ك سورة هود الآية : ١١ .

(٤) مختار الصحاح ص ١٦٧ و١٤١ مفردات ص ١٩٢ .

(٥) سورة مريم الآية : ٨١ .

(٦) ٨٣ ك سورة مريم الآية : ١٩ .

عزا :

ـ العزة : حالة مانعة **للانسان** من أن يغلب ، من قولهم أرض عزز أي صلبة ، والعزيز الذي يقهر ولا يُقهر .

﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾ ، أي ليمنّعوا به من العذاب ، وقد تستعار **العزة** للحمية والأنفة المذمومة كقوله : ﴿ أخذته العزة بالأثم﴾[1] يقال عزّ كذا أي صعب وعزّه عليه غلبه[2] .

ـ ﴿ **ويكونون عليهم ضدا**﴾ : أي منافقين لهم[3] .

ـ ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم ، وهم لهم **جند محضرون**﴾[4] .

ـ محضرون :

مشاهدون[5] : ﴿ وهم لهم جند محضرون ﴾ المراد أن المشركين هم الجنود المدافعون عن أصنامهم مع أن الشأن في الآله أن يدافع عمن يعبده[6] .

ـ ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء ، لما جاء أمر ربك وما زادوهم

---

(١) ٢٠٦ م سورة البقرة الآية ٢٠ .

(٢) المفردات ص ٣٣٢/٣٣٣ .

(٣) المفردات ص ٢٩٣ / سورة مريم الآية ١٩/١٨٣ ك .

(٤) سورة يس الآية : ٧٤ـ٧٥ .

(٥) المفردات ص ١٢٢ و١١٤ مختار الصحاح عبد الجليل .

(٦) المصحف المفسر للشيخ عيسى ٥٨٦ .

غير تتبيب﴾[1] .

- **تتبيب** :

عذاب : أي أن آلهتهم لم تدفع عنهم أي شيء من العذاب[2] .

أمر ربك :

عذاب ربك : وسياق الآيات عن فرعون وقومه .

التب والتباب :

- الاستمرار في الخسران ، يقال تبّا له وتبّ له .
- وتببّته إذا قلت له ذلك ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾[3] أي تخسير .

كسراب :

- ﴿والذين كفروا أعمالهم **كسراب** بقيعة يحسبه الظمّئان مآء حتى إذا جآءه لم يجده شيئاً﴾ .

- ﴿ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾ ﴿أو كظلمات في بحر لجيّ يغشه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[4] .

---

(١) سورة هود الآية ١٠١ .

(٢) المصحف المفسر ص ٢٩٩ .

(٣) المفردات ص ٧٢ .

(٤) سورة النور الآية ٣٩-٤٠ .

السراب :

اللامع في المفازه كالماء ، وذلك لانسرابه في مرأى العين وكان السَّراب فيما لا حقيقة له ، كالشراب فيما له حقيقة.[1]

بقيعة :

البقيع والقاع المستوي من الأرض جمعه قيعان ، وتصغيره قويع ، القاع هو المكان الخالي[2] .

وجد الله عنده :

المراد : وجد جزاء الله .

لجيّ :

منسوب للجّة وهو الماء الكثير بعيد الغور ، ولجّة البحر بالضم تردد ، أمواجه قال﴿ في بحر لجي﴾ منسوب إلى لجة البحر[3] .

الموج :

الموج في البحر ما يعلوه من غوارب الماء ، وماج كذا اضطرب[4] .

السحاب :

السّبح المر السريع في الماء وفي الهواء ، واستعير لمر النجوم في

---

(١) المفردات ص ٢٢٩ .

(٢) المصحف المفسر ص ٤٦٤ .

(٣) المفردات ص ٤٤٨ .

(٤) المفردات ص ٤٧٧ .

الفلك[1] .

آية السراب

﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾[2] .

وقدمنا إلى ... :

المراد توجهت إرادتنا .

هباء :

هو ذرات الغبار الصغير جداً التي لا ترى إلا في شعاع الشمس .

منثوراً :

المراد : لا يمكن جمعه[3] .

---

(1) المفردات ص ٢٢١ .

(2) سورة الفرقان الآية : ٢٣ .

(3) المصحف المفسر ص ٤٧٣ .

الأمثال
في القرآن الكريم

الأمثال في القرآن الكريم

في القرآن الكريم ثلاثة وأربعون مثلاً : **في البقرة** : (كمثل الذي استوقد ناراً أو كصيب) * (أن يضرب مثلاً ما بعوضة) * (ومثل الذين كفروا) * (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) * (فمثله كمثل صفوان) * (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) * (أيودّ أحدكم) * (كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) . **وفي آل عمران** : (وكنتم على شفا حفرة من النار) * (مثل ما ينفقون) . وفي الأنعام : (كالذي استهوته الشياطين) . **وفي الأعراف** : (فمثله كمثل الكلب) . **وفي يونس** : (إنّما مثل الحيوة الدنيا) . **وفي هود** : (مثل الفريقين) . **وفي الرعد** : (إلّا كباسط كفيه إلى الماء) * (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) * (مثل الجنة) . **وفي إبراهيم** : (مثل الذين كفروا بربهم) * (كيف ضرب الله مثلاً) * (مثل كلمة خبيثة) . **وفي النحل** : (ضرب الله مثلاً عبد مملوكا) * (وضرب الله مثلاً رجلين) * (وأضرب لهم مثلاً قرية) . **وفي الكهف** : (وأضرب لهم مثل الحيوة الدنيا) * (وأضرب مثل الحيوة الدنيا) . **وفي الحج** : (فكأنما خر من السماء) * (ضرب مثل) . **وفي النور** : (مثل نوره) * (أعمالهم كسراب بقيعة) . **وفي العنكبوت** : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت) . **وفي الروم** : (ضرب لكم

مثلاً من أنفسكم) . **وفي يس** : وضرب لنا مثلا . **وفي الزمر** : (ضرب الله مثلاً رجلاً) . **وفي سورة محمد** : (نظر المغشي عليه من الموت) * (مثل الجنة) . **وفي الفتح** : (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل) . **وفي الحشر** : (كمثل الذين من قبلهم) * (كمثل الشيطان) . **وفي الجمعة** : (مثل الذين حملوا التوراة) . **وفي التحريم** : (ضرب الله مثلاً للذين كفروا) * (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا) .

ـ**وكم من كلمة** تدور على الألسن مثلاً . جاء القرآن بالخص منها وأحسن فمن ذلك قولهم : القتل أنفى للقتل ، مذكور **في قوله تعالى** : ﴿ ولكم في القصاص حياة﴾ . وقولهم : « ليس المخبر كالمعاين » . **مذكور في قوله تعالى** : (ولكن ليطمئن قلبي) . وقولهم : « ما تزرع تحصد » **مذكور في قوله تعالى** : ﴿ من يعمل سؤاً يجزبه﴾ . وقولهم : « للحيطان آذان » . **مذكور في قوله تعالى** : (وفيكم سماعون لهم) . وقولهم : « الحمية رأس الدواء » . مذكور في قوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ . **وقولهم** : « إحذر شر من أحسنت إليه » . **مذكور في قوله تعالى** : ﴿ وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ . **وقولهم** : « من جهل شيئاً عاداه » . **مذكور في قوله تعالى** : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا أفك قديم﴾ . **وقولهم** : « خير الأمور أوساطها » . **مذكور في قوله تعالى** : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ . **وقولهم** : (من أعان ظالماً سلّطه الله عليه) . **مذكورة في قوله تعالى** : ﴿ كتب عليه أنه من تولّاه فإنه يضله﴾ . **وقولهم** : « لما أنضج رمّد » . مذكور **في قوله تعالى** : ﴿ وأعطى قليلاً وأكدى﴾ . **وقولهم** : « لا تلد الحية إلا

حية » . **مذكور في قوله تعالى** : ﴿ ولا يلدوا ﴾[1] .

ـ **تصوير حالة المنافقين** وما هم عليه من الخبث والغباوة والجبن .

ـ قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيّب من السماء فيه ظلمات وبرق ورعد يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ .

ـ **تصوير حالة المصلح الداعي إلى الرشاد** .

قوله تعالى : ﴿ الذين يبلّغون رسالات ربهم ﴾[2]

ـ **حالة المرابي وانشغاله بماله** :

قوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾[3] .

---

(١) انظر كتاب المدهش لأبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هجرية ـ دار الجليل .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٩ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٧٥ .

الأمثال الواردة في القرآن الكريم

المادة	الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم السورة
م ث ل	ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات[1]	٦	الرعد	١٣
م ث ل	فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل[2] الأولين .	٨	الزخرف	٤٣
م ث ل	فجعلناهم سلفاً ومثلاً[3] للآخرين .	٥٦	الزخرف	٤٣
م ث ل	يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى[4] .	٦٣	طه	٢٠
م ث ل	نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثالهم[5]			

(١) ـ الأقوام السابقة التي ضربت فيها الأمثال .
(٢) ـ ومضى مثل الأولين ـ سنة الأولين . ومضى مثل الأولين ـ عقوبة الأولين .
(٣) ـ ومثلاً ـ عبرة وقال قتادة : مثلا للأخرين عظة لمن بعدهم .
ـ المثلات / واحدها مثلة وهي الأشباه والأمثال .
ـ معجم تأليف غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري ـ تأليف محمد فؤاد عبد الباقي / دار المعرفة بيروت / ص ١٨٩ـ١٩٠ .
(٤) ـ المثلى ـ تأنيث الأمثل . يقول بدينكم . يقال : خذ المثلى ، خذ الأمثل
(٥) قال ابن عيينة : أمثالهم ـ أعدلهم .

	طريقة إن لبثتم إلا يوماً .	١٠٤	طه	٢٠
م ث ل	إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل[1]			
	التي أنتم لها عاكفون .	٥٢	الأنبياء	٢١
تمثل	فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً	١٧ك	مريم	١٩
امثلهم :	إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً.	١٠٤ك	طه	٢٠
مثل :	كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم.	١١٣م	البقرة	٢
(٣١)	كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم.	١١٨م	البقرة	٢
	فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا .	١٣٧م	البقرة	٢
مثل :	فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل			
	ما اعتدى عليكم .	١٩٤م	البقرة	٢
	ـ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف .	٢٢٨م	البقرة	٢
	ـ وعلى الوارث مثل ذلك .	٢٣٣م	البقرة	٢
	ـ ذلك بانهم قالوا إنما البيع مثل الربا .	٢٧٥م	البقرة	٢
	ـ قل إن الهدى هدى الله أن يؤتي أحدكم			
	مثل ما أوتيتم .	٧٣م	آل عمران	٢
	ـ يوصيكم الله في أولادكم الذكر مثل حظ			
	الأنثيين .	١١م	النساء	١
	ـ وإن كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر			
	مثل حظ الانثيين .	١٧٦م	النساء	١
	ـ قال يا ويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا			
	الغراب .	٣١م	المائدة	٥
	ـ ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما			

(١) التماثيل ـ الأصنام .

قتل من النعم .	٩٥ م	المائدة	٥
ـ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله .	٩٣ م	الأنعام	٦
ـ قالوا لن نؤمن حتى تؤتي مثل ما أوتي رسل الله .	١٢٤ ك	الأنعام	٦
ـ وإذا تتلى عليكم آياتنا قالوا قد سمعنا لو تشاء لقلنا مثل هذا .	٣١ ك	الأنفال	٨
ـ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم .	١٠٢ ك	يونس	١٠
لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح .	٨٩ ك	هود	١١
ـ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به.	١٢٦ م	النحل	١٦
ـ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله .	٨٨ ك	الاسراء	١٧
ـ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بقي عليه لينصرنه الله .	٦٠ م	الحج	٢٢
ـ بل قالوا مثل ما قال الأولون .	٨١ ك	المؤمنون	٢٣
ـ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى .	٤٨ ك	القصص	٢٨
ـ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون .	٧٩ ك	القصص	٢٨
ولا ينبئك مثل خبير .	١٤ ك	فاطر	٣٥
ـ لمثل هذا فليعمل العاملون .	٦١ ك	الصافات	٣٧
ـ وقال الذي آمن يا قوم أني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب .	٣٠ ك	غافر	٤٠

- مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم . ٣١ك غافر ٤٠
- فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . ١٣ك فصلت ٤١
- فورب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون . ٢٣ك الذاريات ٥١
- فأتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما انفقوا . ١١م الممتحنة ١٠
- فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعملون . ٥٩ك الذاريات ٥١

مثلكم : قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشراً مثلكم. ١١ ك .إبراهيم ١٤

(٧) - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي إنما الهكم إله واحد . ١١٠ك الكهف ١٨
- هل هذا إلا بشر مثلكم افتأتون السحر وأنتم تبصرون . ٣ك الأنبياء ٢١
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم . ٢٤ك المؤمنون ١٣
- ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل ممّا تأكلون منه . ٣٣ك المؤمنون ٢٣
- ولئن اطعمتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون . ٣٤ك المؤمنون ٢٣
- قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي إنما إلهكم إله واحد . ٦ك فصلت ٤١

مثلنا :	فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشر مثلنا .	٢٧ك هود	١١
(٦)	– قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا .	١٠ ك إبراهيم	١٤
	– فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون .	٤٧ ك المؤمنون	٢٣
	– ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين .	١٥٤ ك الشعراء	٢٦
	– وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين .	١٨٦ ك الشعراء	٢٦
	– قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا .	١٥ ك يس	٣٦
مثله :	– وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فآتوا بسورة من مثله .	٢٣ م البقرة	٢
(١٧)	إن يمسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله .	١٤٠ م آل عمران	٣
	– لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم .	٣٦ م المائدة	٥
	– وأن يأتهم عرض مثله يأخذوه .	١٦٩ م الأعراف	٧
	– أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله .	٣٨ك يونس	١٠
	– أم يقولون أفتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات .	١٣ك هود	١١
	– ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله .	١٧ م الرعد	١٣

ـ لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لأفتدوا به .	١٨ م	الرعد	١٣
ـ قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله .	٨٨ ك	الأسراء	١٧
ـ لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً .	١٠٩ ك	الكهف	١٨
ـ فلنأتينك بسحر مثله .	٥٨ ك	طه	٢٠
ـ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين .	١٧ م	النور	٢٤
ـ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون .	٤٢ ك	يس	٣٦
ـ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به .	٤٧ ك	الزمر	٣٩
ـ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .	١١ ك	الشورى	٤٢
ـ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم .	١٠ م	الأحقاف	٤٦
ـ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين .	٣٤ ك	الطور	٥٢
مثلها : ما تنسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .	١٠٦ م	البقرة	٢
ـ ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون .	١٦٠ ك	الأنعام	٦
ـ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة .	٢٧ ك	يونس	١٠
ـ من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها .	٤٠ ك	غافر	٤٠

	– وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا			
	وأصلح فأجره على الله .	٤٠ك	الشورى	٤٢
	– أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في			
	البلاد .	٨ك	الفجر	٨٩
مثلهم :	أنكم إذا مثلهم .	١٤٠م	النساء	٤
(٥)	أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات			
	والأرض قادر على أن يخلق مثلهم .	٩٩ك	الإسراء	١٧
	– وأتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من			
	عندنا وذكرى للعابدين .	٨٤ك	الأنبياء	٢١
	– أو ليس الذي خلق السموات والأرض			
	بقادر على أن يخلق مثلهم .	٨١ك	يس	٣٦
	– ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي			
	الألباب .	٤٣ك	ص	٣٨
مثلهن :	الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض			
	مثلهن .	١٢م	الطلاق	٦٥
مثليها :	أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها فلم			
	قلتم أنّى هذا .	١٦٥م	آل عمران	٣
مثلهم :	يرونهم مثليهم رأي العين .	١٣م	آل عمران	٣
مثل :	كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت			
(٤١)	ما حوله ذهب الله بنورهم .	١٧م	البقرة	٢
	– ومثل الذين كفروا . كمثل الذين ينعق			
	بما لا يسمع إلا دعاء ونداء .	١٧١م	البقرة	٢
	– أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم			

مثل الذين خلوا من قبلكم .	٢١٤م	البقرة	٢
- مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة .	٢٦١م	البقرة	٢
- فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً .	٢٩٤م	البقرة	١
- ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاه الله . وتثبيتاً من أنفسهم . كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين.	٢٦٥م	البقرة	٢
- إن مثل عيسى عند الله . كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .	٥٩م	آل عمران	٣
- مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا . كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم .	١١٧م	آل عمران	٣
- فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا .	١٧٦ك	الأعراف	٧
- مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء.	٢٤ك	يونس	١٠
- مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع .	٢٤ك	هود	١١
- مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار .	٣٥م	الرعد	١٣
- مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد			

اشتدت به الريح .	١٨ك	ابراهيم	١٤
– ومثل كلمةخبيثة كخجرةخبيثةاجتثت من فوق الأرض .	٢٦٩ك	إبراهيم	١٤
– للّذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء . ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم .	٦٠ك	النحل	١٦
– ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل .	٨٩ك	الاسراء	١٧٠
– واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء .	٤٥ك	الكهف	١٨
– ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل .	٥٤ك	الكهف	١٨
– يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له .	٧٣م	الحح	٣٢
– مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة .	٣٥م	النور	٢٤
– ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً .	٣٣ك	القرقان ٢	٢٥
– مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء . كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً .	٤١ك	العنكبوت	٢٩
– وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .	٢٧ك	الروم	٣٠
– ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل .	٥٨ك	الروم	٢٠

مثل :– ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من

كل مثل .	٢٧ ك	الزمر	٣٩
– فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين .	٨ ك	الزخرف	٤٣
– مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن .	١٥ م	محمد	٤٧
– كمثل غيث أعجب الكافر نباته ثم يهيج فتراه مصفراً .	٢٠ م	الحديد	٥٧
– كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم .	١٥ م	الحشر	٥٩
– كمثل الشيطان إذ قال للانسان أكفر .	١٦ م	الحشر	٥٩
– مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله .	٥ م	الجمعة	٦٢
مثلا :– إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . (٢٢) فأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً .	٢٦ م	البقرة	٢
– ساء مثلاً القوم كذبوا بآياتنا .	١٧٧ ك	الأعراف	٧
– هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون .	٢٤ ك	هود	١١
– الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة .	٢٣ ك	إبراهيم	١٤
– ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء .	٧٥ ك	النحل	١٦

– وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء .	٧٦ك	النحل	١٦
– وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً .	١١٢ك	النحل	١٦
– وأضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب .	٢٢ك	الكهف	١٨
ولقد أنزلنا إليكم آيات بينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين .	٣٤م	النور	٢٤
– ضرب لكم مثلاً من أنفسكم .	٢٨ك	الروم	٣٠
واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون .	١٣ك	يس	٣٦
– وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من من يحي العظام وهي رميم .	٧٨ك	يس	٣٦
– ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون . ورجلاً سلما لرجل هل يستويان مثلاً .	٢٩ك	الزمر	٢٩
– وإذا بشرا أحدهم بما ضرب الرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً .	١٧ك	الزخرف	٤٣
– فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين .	٥٦ك	الزخرف	٤٣
– ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون .	٥٧ك	الزخرف	٤٣
– إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً			

لبني إسرائيل .	٥٩ك	الزخرف	٤٣
– ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وإمراءة لوط .	١٠م	التحريم	٦٦
– وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون .	١١م	النحريم	٦٦
– ماذا أراد الله بهذا مثلاً .	٣١ك	المدثر	٧٤
مثله :– فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً .	٢٦٤م	البقرة	٢
(٣) – كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها.	١٢٢ك	الأنعام	٦
فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .	١٧٦ك	الأعراف	٧
مثلهم:–مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم .	١٧م	البقرة	٣
– ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه .	٢٩م	الفتح	٤٨
الأمثال:–كذلك يضرب الله الأمثال .	١٧م	الرعد	٩٣
(١١)– ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون .	٢٥ك	إبراهيم	١٤
– وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال .	٤٥ك	إبراهيم	١٤
– فلا تضربوا الله الأمثال أن الله يعلم وانتم لا تعلمون .	٧٤ك	النحل	١٦
– انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا			

	فلا يستطيعوا سبيلاً .	٤٨ ك	الإسراء	١٧
	ـ وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبّرنا تتبيراً.	٣٩ ك	الفرقان	٢٥
	ـ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .	٣٥ م	النور	٢٤
	ـ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعوا سبيلاً .	٩ ك	الفرقان	٢٥
	ـ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون .	٤٣ ك	العنكبوت	٢٩
	ـ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون .	٢٣ ك	الواقعة	٥٦
	ـ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكرون .	٢١ م	الحشر	٥٩
امثالكم:	ـوما من دابه في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه . إلا امم امثالكم	٣٨ ك	الأنعام	٦
(٤)	ـ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم .	١٩٤ ك	الاعراف	٧
	ـ وأن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .	٣٨ ك	محمد	٤٧
	ـ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون .	٦١ ك	الواقعة	٥٦
امثالها :	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها .	١٦٠ ك	الأنعام	٦
(٢)	ـ دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالهم .	١٠ م	محمد	٤٧
أمثالهم :	كذلك يضرب الله للناس أمثالهم .	٣ م	محمد	٤٧
(٢)	ـ وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً .	٢٨ م	الإنسان	٧٦

المثلات : وقد خلت من قبلهم المثلات .	٦ م	الرعد	١٣
المثلى : ويذهبا بطريقتكم المثلى .	٦٣ك	طه	٢٠
التماثيل : إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل (٢) التي أنتم لها عاكفون .	٥٢ك	الأنبياء	٢١
– يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب .	١٣ك	سبأ	٣٤

المختار من جوامع الكلم من الأمثال والحكم الواردة في الأحاديث النبويّة الشريفة

الباب الثاني

المختار من الأحاديث النبوية

١ ـ إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى .

٢ ـ إن الله تعالى لا ينظر إلى اجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم .

٣ ـ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

٤ ـ إذا ألتقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار .

٥ ـ المرء مع من أحَب .

٦ ـ لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان .

٧ ـ القرآن حجة لك أو عليك .

٨ ـ كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .

٩ ـ ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر .

١٠ ـ إنما يرحم الله من عباده الرحماء .

١١ ـ إنما الصبر عند الصدمة الأولى .

١٢ ـ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .

١٣ ـ إن عظم الجزاء مع عظم البلاء .

١٤ ـ ليس الشديد بالصرعة .

١٥ ـ الجنة تحت ظلال السيوف .

١٦ ـ إن الصدق يهدي إلى البرّ ، وإن البرّ يهدي إلى الجنة .

١٧ ـ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

١٨ ـ الصدق طمأنينة والكذب ريبة .
١٩ ـ رفعت الأقلام وجفت الصحف .
٢٠ ـ تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .
٢١ ـ الكّيس من دان نفسه .
٢٢ ـ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .
٢٣ ـ سبقك بها عكاشة .
٢٤ ـ قل آمنت بالله ثم استقم .
٢٥ ـ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ .
٢٦ ـ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .
٢٧ ـ أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز .
٢٨ ـ حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره .
٢٩ ـ يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله .
٣٠ ـ الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله .
٣١ ـ خير الناس من طال عمره وحسن عمله .
٣٢ ـ يبعث كل عبد على ما مات عليه .
٣٣ ـ لا تحقرّن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق .
٣٤ ـ في كل كبد رطبة أجر .
٣٥ ـ كل معروف صدقة .
٣٦ ـ هلك المتنطعون .
٣٧ ـ إن الدين يسر ولن يشادّ الدين إلا غلبه .
٣٨ ـ إن لجسدك عليك حقاً .
٣٩ ـ إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة .
٤٠ ـ كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى .

٤١ ـ إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث .
٤٢ ـ من دل على خير فله مثل أجر فاعله .
٤٣ ـ لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .
٤٤ ـ الدين النصيحة .
٤٥ ـ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .
٤٦ ـ أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر .
٤٧ ـ الظلم ظلمات يوم القيامة .
٤٨ ـ إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .
٤٩ ـ اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .
٥٠ ـ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .
٥١ ـ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه .
٥٢ ـ لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصبْ دماً حراماً .
٥٣ ـ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .
٥٤ ـ من لا يَرحم لا يُرحم .
٥٥ ـ من لا يَرحم الناس لا يَرحمه الله .
٥٦ ـ من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة .
٥٧ ـ كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .
٥٨ ـ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .
٥٩ ـ لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة .
٦٠ ـ كل أمتي معافى إلا المهاجرين . المجاهرين
٦١ ـ الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .
٦٢ ـ اشفعوا تؤجروا .
٦٣ ـ الكلمة الطيبة صدقة .

٦٤ ـ الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله .
٦٥ ـ بئس الطعام طعام الوليمة .
٦٦ ـ استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خُلقت من ضُلع .
٦٧ ـ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً .
٦٨ ـ الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة .
٦٩ ـ كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته .
٧٠ ـ كفى بالمرء اثماً أن يضيع ما يفوت .
٧١ ـ اليد العليا خير من اليد السفلى .
٧٢ ـ خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى .
٧٣ ـ ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .
٧٤ ـ لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه .
٧٥ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره .
٧٦ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت .
٧٧ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .
٧٨ ـ ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا .
٧٩ ـ الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل .
٨٠ ـ المرء مع من أحب .
٨١ ـ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .
٨٢ ـ الأرواح جنود مجندة .
٨٣ ـ اتقوا النار ولو بشق تمرة .
٨٤ ـ من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل .
٨٥ ـ انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم
٨٦ ـ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

٨٧ ـ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .
٨٩ ـ أزهد في الدنيا يحبك الله .
٨٩ ـ لا تلام على كفاف .
٩٠ ـ طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافاً .
٩١ ـ ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه .
٩٢ ـ ليس الغني عن كثرة الغرض ، ولكن الغني غني النفس .
٩٣ ـ إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه .
٩٤ ـ من يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله .
٩٥ ـ ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه .
٩٦ ـ إن مال أحدكم ما قدم ، ومال وارثه ما أخر .
٩٧ ـ ما نقصى مال من صدقة .
٩٨ ـ ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا .
٩٩ ـ ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عزّ وجلّ .
١٠٠ ـ ما فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر .
١٠١ ـ إنّما الدنيا لأربعة نفر .
١٠٢ ـ اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة .
١٠٣ ـ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .
١٠٤ ـ أكثروا من ذكر هادم اللذات .
١٠٥ ـ إن الحلال بين ، وإن الحرام بين .
١٠٦ ـ إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله : ألا وهي القلب .
١٠٧ ـ البرّ حسن الخلق .
١٠٨ ـ البرّ ما اطمأنت إليه النفس .

١٠٩ ـ الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر .
١١٠ ـ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .
١١١ ـ تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد .
١١٢ ـ إن الله جميل يحب الجمال .
١١٣ ـ الكبر بطر الحق وغمط الناس .
١١٤ ـ إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً .
١١٥ ـ أكمل المؤمنون إيماناً أحسنكم خلقاً .
١١٦ ـ إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله .
١١٧ ـ إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه .
١١٨ ـ من يحرم الرفق يحرم الخير كله .
١١٩ ـ إن الله كتب الإحسان على كل شيء .
١٢٠ ـ بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معثرين .
١٢١ ـ ليس الشديد بالصرعة .
١٢٢ ـ إن المقسطين عند الله على منابر من نور .
١٢٣ ـ الحياء لا يأتي إلا بخير .
١٢٤ ـ لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق .
١٢٥ ـ إياك وإسبال الأزار فإنها من المخيلة .
١٢٦ ـ اعملوا فكل ميسر لما خلق له .
١٢٧ ـ إنما يرحم الله من عباده الرحماء .
١٢٨ ـ السفر قطعة من العذاب .
١٢٩ ـ إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف .
١٣٠ ـ ما أغبرت قدم عبد في سبيل الله فتمسه النار .
١٣١ ـ فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم

١٣٢ ـ إن العلماء ورثة الأنبياء .

١٣٣ ـ إياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

١٣٤ ـ البرّ حسن الخلق .

١٣٥ ـ الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطّلع عليه الناس .

١٣٦ ـ الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة .

١٣٧ ـ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

١٣٨ ـ الحرب خدعة .

١٣٩ ـ الدعاء هو العبادة .

١٤٠ ـ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

١٤١ ـ إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

---

(١) للاستزادة انظر رياض الصالحين .

المختار من الأمثال الفصحى

المختار من الأمثال الفصحى

١ ـ **قال الإمام عليّ كرّم الله وجهه** : أقل الناس قيمة أقلهم علماً . ليس الجهل عاراً ، وإنّما العار في رفض تحصيل العلم .

٢ ـ **ما مات من أحيا علما** ، ولا اقتصر من ملك فهماً ، كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا يحسنه ، ويفرح به إذا نسب إليه . وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نسب إليه .

٣ ـ **العلم صبغ النفس**[١] ، وليس يفرّق صبغ الشيء حتى ينظف من كل دنس . أشرف الأشياء العلم . والله تعالى عالم ، يحب كل عالم .

ليت شعري[٢] : أي شيء أدرك من فاته العلم ؟ بل أي شيء فات من أدرك العلم ؟ الملوك حكام على الناس . والعلماء حكام على الملوك .

٤ ـ **تعلموا العلم** ، فأنه زين للغني ، وعون للفقير . عدم الأدب سبب كل شيء . احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه .

٥ ـ **العلم أفضل الكنوز وأجملها** . خفيف المحمل . عظيم الجدوى[٣] في الملأ جمال ، وفي الوحدة أنس[٤] .

(١) العلم بالنسبة للنفس كالصبغة بالنسبة للثوب ، وكما لا يمكن صبغ الثوب إلا بعد تنظيفه من الأقذار ، فكذلك النفس تهذب وتنقى أولاً ، ثم تأخذ العلم .

(٢) ليت شعري : ليتني أعلم .

(٣) الجدوى : الفائدة .

(٤) كتاب أمثال الشرق والغرب تأليف الشيخ يوسف البستاني وصلاح الدين البستاني دار العرب ـ القاهرة .

٦ ـ **لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك** ، ولا الجهال فيستفتنوك[1] ، ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم ، فإن لعلمك عليك حقاً ، كما أن عليك في مالك حقاً ، بذله لمستحقيه ، ومنعه من غير مستحقيه .

٧ ـ الجاهل صغير وإن كان شيخاً ، والعالم كبير وإن كان حدثاً لا يعرف فضل أهل الفضل ، إلا أهل الفضل .

٨ ـ وقال :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

٩ ـ وقال أيضاً :

ليس اليتيم الذي قد مات والده إن اليتيم يتيم العلم والأدب

١٠ ـ **وفي أمثال الغرب** : اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد . العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر .

١١ ـ وقال أحدهم : لسنا إلى شرف موروث بأحوج منا إلى شرف مكتسب .

١٢ ـ **وقال السيد المسيح** : من علم وعمل ، عدّ في الملكوت الأعظم عظيماً .

١٣ ـ وقال النبي موسى في مناجاته : إلهي . من أحب الناس إليك ؟ قال : عالم يطلب علماً .

١٤ ـ **وقال الخليل** : العلوم أقفال والأسئلة مفاتيحها .

---

(١) يستفتنوك . يوقعونك في الفتنة .

١٥ ـ **شكا رجل إلى وكيع** بن الجراح سوء الحفظ ، فقال له : استعن على الحفظ بترك المعاصي . فأنشأ يقول :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فارشدني إلى ترك المعاصي
وذلك إن حفظ العلم فضل وفضل الله لا يؤتي لعاصي

١٦ ـ **قيل لأردشير** : أيها الملك الرفيع الذي حلب العصور ، وجرّب الدهور ، أيّ الكنوز أعظم قدراً ؟ قال : العلم الذي خلف محمله فثقلت مفارقه وكثرت مرافقته ، وخفى مكانه . فأمن من السرق عليه ، فهو في الملأ جمال ، وفي الوحدة أنيس يرأس به الخسيس . ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك . قيل له : فالمال ؟ قال : ليس كذلك . محملة ثقيل . والهم به طويل . إن كنت في ملأ شغلك الفكر فيه وإن كنت في خلوة اتعبتك حراسته ! !

١٧ ـ **وقيل لزين العابدين** : لم تجلس مع هذا العبد ، « زيد بن أسلم » ؟ قال ينبغي للعلم أن يتبع حيث كان ! !

١٨ ـ **وقال الأستاذ** « بولانو » من كتاب في التلمود له :

طوبى[1] للابن الذي يتلقى العلم عن أبيه ، وطوبى للأب الذي يعلم ابنه . كاسب الحكمة من يرضى بالعلم من حيث أتى . مناظرة العلماء تزيد العلم .

١٩ ـ **وقال الحسن بن علي**[2] : العلم أكثر من أن يحصى .

---

(١) طوبى : الخير .

(٢) الحسن بن علي تولّى الخلافة بعد مقتل والده ، ومات مسموماً من امرأته بعده ، وعمره ٤٧ سنة ، وقيل ٤٩ .

٢٠ ـ **وقال سليمان بن وهب**[١] : أحق الناس بالفضل أهل الفضل .

٢١ ـ **وقال نصر بن سيار** : كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر إلّا المصيبة ، فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر . وكل شيء يرخص إذا أكثر خلا الأدب . فإنه إذا كثر غلا .

٢٢ ـ **وقال عبد الحميد بن يحيى**[٢] : القلم شجرة ثمرها المعاني . والفكر بحر لؤلؤه الحكمة .

٢٣ ـ **وقال الأبشيهي**[٣] : قال بعض السلف : العلوم أربعة : الفقه للأديان ، والطب للأبدان ، والنجوم للأزمان ، والبلاغة للسان .

٢٤ ـ **وقال ابن حزم الأندلسي** : الباخل بالعلم ألوم من الباخل بالمال ، فإن الباخل بالمال أشفق من فناء ما بيده ، والباخل بالعلم بخل بما لا يعني بالنفقة ، ولا يفارقه مع البذل .

٢٥ ـ **ومن أمثال قدماء المصريين** : الكتب غذاء النفوس . **وقال بزرجمهر** : العلم والآداب كنزان لا ينفدان ، وسراجان لا يطفآن ، وحلتان لا تبليان . فمن نالهما أصاب طريق الرشاد . وعرف طريق المعاد ، وعاش رفيعاً بين العباد .

---

(١) كان سليمان بن وهب شاعراً بليغاً ، تولّى الوزارة للخليفة المهتدي بالله .

(٢) عبد الحميد بن يحيى ، هو كاتب مروان الجعدي آخر خلفاء بني أمية . وقيل أن السفاح العباس سلّمه إلى كاتب شرطة عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وكان يحمي طشتا بالنار ويضعه على عنقه ، إلى أن مات ، وكانت وفاته آخر سنة ١٣٢ هـ .

(٣) الأبشيهي : هو محمد بن أحمد الخطيب الأبشيهي ، اشتهر بكتابه « المستطرف في كل فن مستظرف » .

٢٦ ـ **ورحم الله شيخنا اليازجي** القائل :

مضى ذكـر الملـوك بكـلّ عصر   وذكر السوقة[١] العلماء باقي

٢٧ ـ وقال :

وما نفع الدرّاهم مع جهـــول   يباع بدرهم وقـت النفـاق

٢٨ ـ **وقال حماد بن سلمة** : مثل الذي يطلب الحديث ، ولا يعرف النحو ، كمثل الحمار عليه مخلالا شعير فيها .

٢٩ ـ **وقال إبراهيم بن خلف المهراني** :

النّحو يصلح من لســان الألكـن   والمرء تكرمــه إذا لم يلحـن

وإذا طلبت من العلــوم أجلّهـــا   فأجلّها منها مقيم الألســـن

٣٠ ـ **وقال مصلح الدين سعدي** : ينال المرء من العلم ما لا يناله من النسب والمقام والغنى . العاقل من يطلب العلم ، فإن سوق العقل رائجة أبداً . أطلب العلم ولو في أباعد الأرض . لا تصلح أمورك إلا بالمعرفة .

٣١ ـ **وقال فلوطرخس** : العثور على العلم الصحيح مصدر الأمانة والفضيلة .

٣٢ ـ **وقال ده لا فونتين**[٢] : ليقل الجهل ما يشاء ، فإن للعلم قيمة لا تنكر .

٣٣ ـ **وقال مونتنيو**[٣] : العلوم والفنون لا تفرغ في قالب افراغاً ، ولكنها تنمو نمواً ، وتلقن بالمزاولة ، لا بد للفضيلة من مسلك وعر تسلك فيه .

---

(١) السوقة : العامة .

(٢) لافونتين : عالم فرنسي (١٦٢١ ـ ١٦٩٥) .

(٣) مونتينو : فيلسوف فرنسي (١٥٣٢ـ١٥٩٢) .

٣٤ ـ **وقال ميجل ده سرفتش**[١] : القلم لسان العقل .

٣٥ ـ **وقال ارسطو طاليس**[٢] : سئل كم يفضل المتعلمون على غير المتعلمين ، فقال : مقدار ما يفضل الأحياء على الأموات . العلم حلية في الرخاء ، وعون في الشدة ، العلم خير زاد للشيخوخة .

٣٦ ـ **وقال شكسبير** : لا تنجو الفضيلة من لؤم الشاتم .

٣٧ ـ **وقال سنيكا الحكيم** : إني أميز الرجال بعقلي لا بعيني .

٣٨ ـ **وقال الإسكندر الأكبر** : أفضل أن أفوق غيري في الفضائل على أن أفوق في اتساع الملك والسلطان .

٣٩ ـ **وقال سقراط الحكيم** : الخير الوحيد هو العلم والشر الوحيد هو الجهل . مال العالم معه حيث سلك .

٤٠ ـ **وقال ابيكتيتس** : العقل ينظم الأمور . فيجب أن لا يترك من غير تنظيم . التعلم يبقى في شبابه ولو للشيخ .

وقال يوربيدس : من أهمل العلم في حداثته أضاع الماضي والمستقبل[٣] .

---

(١) ميجل ده سرفتش ، عالم فرنسي شهير (١٦١٣ ـ ١٦٨٠) .

(٢) أرسطو طاليس : كبير فلاسفة اليونان .

(٣) للاستزادة راجع كتاب أمثال الشرق والغرب ليوسف البستاني ـ دار العرب القاهرة .

٤١ ـ لِكُلِ غَـدٍ طَعَامُ

يضرب في التوكل على فضل الله عزّ وجلّ .

٤٢ ـ لِكُلِّ دَهْرٍ رِجالُ

هذا من قول بعضهم : لكل مَقام مقال ، ولكل دهر رجال .

٤٣ ـ لِكُلِّ جَنْبٍ مُصرَعُ

المصرع ، يكون مصدراً ، ويكون موضوع الصرع . والمعنى ، لكل حي موت .

٤٤ ـ لِكُلِّ عُودٍ عُصَارَةُ

العصارة ، ما يخرج من الشيء إذا عصر ، إنحلواً فعلو ، وإن مراً فمرّ . أي لكل ظاهر باطن .

٤٥ ـ لَزَّ القَتَبُ

أي عضة . يضرب لمن لزمته الحجة . ومنه فلان لَزَّازُ خصم .

٤٦ ـ لَوْ غَير ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمَتنِّي

يروي الأصمعي المثل على هذا الوجه . وذلك أن حاتماً الطائي مرّ ببلاد عنزة في بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم : يا أبا سفانة أكلني الأسار والقمل ، فقال : ويحك أسأت إذ نوهت بأسمي في بلاد قومي . فساوم القوم به ، ثم قال : اطلقوه واجعلوا يدي في القيد مكانه ، ففعلوا ، فجاءته امرأة ببعير ليفصده فقام فنحره ، فلطمت وجهه فقال : لو غير ذات سوار لطمتني ، يعني ، أني لا أقتص من النساء ، فعرف ففدى نفسه فداءً عظيماً .

٤٧ ـ **لَقِيتُهُ عِدَادَ الثُّرَيَا**

أي مرة في الشهر ، وذلك لأن القمر ينزل الثريا في كل شهر مرة . والعداد ما يعاود الإنسان لوقت ، من وجع أو غير ذلك[١] .

ـ ومن ذلك قولهم :

٤٨ ـ « **لكل مقام مقال** »[٢] .

أول من قاله طرفة بن العبد في شعر يعتذر فيه إلى عمرو بن هند في بيت منه وهو :

تصدّق عليّ هداك المليك فان لكل مقام مقالا[٣]

ومن ذلك قولهم :

٤٩ ـ « **ليس عليك نسجه فاسحب وجر** »[٤]

يقال للرجل يسرف في إنفاق مال حصل له من ارث أو وجه لم يتعب فيه ، وما أشبه ذلك ...

ـ ومن ذلك قولهم :

٥٠ ـ « **ليس بعد الأسر إلّا القتل** »[٥] [٦] .

(١) للأستزادة راجع كتاب مجمع الأمثال ص ٢١٥ .

(٢) ـ الفاخر ٣١٢٤ ، الميداني ١٤٨/٢ ويراد به أن لكل أمر أو فعل أو كلام موضعاً لا يوضع في غيره .

(٣) ديوانه : لم يورد الديوان هذا البيت .

(٤) ـ الميداني ١٣٨/٢ .

(٥) ـ الميداني ١٣٦/٢ ، الزمخشريَ ٣٠٥/٢ . وفي الميداني الاسار .

(٦) للاستزادة انظر كتاب الوسيط في الأمثال ص ١٥١ .

بعض الأمثال في بعض الشعوب :

ـ **ولِكلّ شعب من الشعوب** خصال من المدح والذم ، رسخت في أصوله بحكم الفطرة وانتشرت في فروعه بعقل الوراثة ، فتناقلتها الأجيال ، وسارت بها الأمثال ، وتندرت بها المجالس ، فكما تضرب الأمثال بالسكسونيين في البرود والصبر والأناة ، تضرب باللاتينيين في الحمية والحدة والتهور ، وكما تضرب الأمثال بالعرب في الشجاعة والفصاحة والكرم ، وتضرب باليهود في الأنانية والعصبية والحرص . ومن الأمثال التي وردت في شعب اسرائيل قوله تعالى في القرآن الكريم : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) . أرسل الله موسى بالتوراة إلى بني اسرائيل ، وكلفهم العمل بما فيها فلم يعملوا ، فكان مثلهم مثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره الكتب القيّمة ، ولا ينفع بها لجهله . فساء عقله .

ـ **ومن أمثال العرب في** حب اليهود للمال ، قول حافظ إبراهيم يصف غادته اليابانية :

كنت أهوى في زماني غـــــادة وهب الله لها ما وهبــــا
ذات وجه مــــزج الحسن بـــــه صفرة تنسي اليهـــود الذهبـا

ـ **ومن طريف ما يتداعب به** الناس على حب اليهود للمال ، أن حاخاما كان عائداً من الكنيس مساء السبت ، فأبصر على جانب الطريق قطعة من النقود الذهبية ، فوقف أمامها جامداً ، كأنّما سمّرت قدماه في الأرض ، ماذا يعمل ؟ ايلتقطها ودينه يحرّم عليه أن يقبض مالا ، أو يعمل عملاً يوم السبت ، أم يتركها ، وطبيعته تأبى عليه

أن يترك قطعة من قلبه ، وشعلة من روحه ، وأخيراً اهتدى إلى حلّ يوفق بين عقيدته وطبيعته ، فخلع رداءه وطرحه على القطعة الذهبية ونام فوقه حتى طلع الفجر .

ـ **على أنهم بهذا المال المعبود** ، استطاعوا أن يشتروا انجلترا وأن يحكموا أمريكا ، وأن يغتصبوا فلسطين مشرق الهدى والسلام ، ومهبط الوحي والإلهام ، ومجتلى عين موسى ، ومسرح قلب عيسى ، ومسرى محمد وقبلة الإسلام الأولى ، وقلب العروبة النابض ووطن مليون ونصف من العرب المسلمين .

ـ **ومن تلك الأمثال قول العرب** : (أذل من يهودي بيثرب) . وذلك أن يهود المدينة كانوا قد عاهدوا الرسول ـ ﷺ ـ على الأمان والضمان . ولكنهم نقضوا العهد ، وظاهروا العدو ، وائتمروا بالرسول ليقتلوه ، فحاربهم المسلمون حتى أجلوهم عن يثرب إلى الشام وخيبر ، فكان اليهودي إذا دخل يثرب ، دخلها ذليل النفس وضيع المكانة .

ـ **ومن أمثال الأندلسيين فيهم** قولهم : (أضل من اليهودي التائه) ، وهو رمز على شعب إسرائيل . بعد أن مزقهم الله في الآفاق ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وأصل المثل المسيح ـ عليه السلام ـ مرّ بدار أحد اليهود ، وهو منهوك القوة من ثقلٍ ما يحمل ، مكروب النفس من شدة ما يعاني ، فأراد أن يستريح قليلاً في ظل الدار ، فدفعه اليهودي عن ظلّها بقسوة وشدّة ، فقال له المسيح وهو يخاطب في شخصه كل اليهود : (ستظل تائهاً في الأرض حتى أعود) . إن لعنة الله ودعوة المسيح لا تزالان تحرقان قدميّ كل يهودي . فهو لا تثبت له قدم في أرض ، ولا تطمئن له نفس في وطن . وكان من أثر ضلاله البعيد

في الأرض ، أن أكتسب أخلاق النور ، فهو يلص ليعيش ، ويخدع ليغلب ، ويتوحش ليأمن ، ويتعصب ليدافع ، حتى انقطعت بينه وبين الناس علائق النوع فأصبح خلقاً آخر لا يألف ولا يؤلف . فمحاولة إسكانه من غير أهله ، وفي غير أرضه ، تكذيب لكلمة الله ، وتزوير على قانون الطبيعة ولن تدوم باذن الله[1] .

---

(١) مستلة بتصرف من كتاب العربية / ص ٢٣٣-٢٣٧ الصادر عن وزارة المعارف / قطر .

المختار من الأمثال العاميّة المتنوّعة

المختار من الأمثال

١ ـ « آخُذِ ابنْ عَميٍّ وَاتْغطَى بْكُميَّ » :

يضرب في تفضيل تزويج المرأة بقريبها ولو كان فقيراً ، أي أتزوج بابن عمي ولو كان لا يملك ما اتغطى به . وقالوا أيضاً في تفضيل القريب على الغريب : (نار القريب ولاجنة الغريب) ويروى : (نار الأهل) وهذا عكس قولهم (خذ من الزرايب ولا تأخذ من القرايب) وقولهم : (الدخان القريب يعمي) وقولهم : (إن كان لك قريب لا تشاركه ولا تناسبه) .

٢ ـ « آخِرِ الحَيَاةِ الْموْت » :

حكمة جرت مجرى الأمثال تقال للتذكير ، وقيل إظهاراً لعدم المبالاة بالتهديد . وانظر : (كلها عيشة وآخرها الموت) .

٣ ـ « آخِرْ خِدْمِةْ الْـغُزْ عَلْقَةْ » :

الغز : يريدون بهم الترك الذين كانوا يحكمون مصر . والعلقة : الوجبة من الضرب أي إن خدمتهم واخلصت لهم فإنهم يكافئونك في آخر خدمتك بالضرب . ويروي : (سكتر) بدل علقة . وهي كلمة تقال للطرد . يضرب لقبح المكافأة على العمل الحسن . وانظر قولهم : (آخر المعروف ينضرب بالكفوف) .

٤ ـ « آخِر دَهْ يجيبْ دَهْ » :

أي آخر هذا يجيء بهذا ، والمقصود آخر الاقذاع بالكلام يؤدي إلى المضاربة والعراك ، وبذلك ينتهي الإشكال وتنجع الشدة في فض الخصام .

٥ ـ « آخِرْ الزَّمْر طِيطْ » :

يضرب للأمر لا ينتج نتيجة نافعة فإن آخره ذلك الصوت الذي يقول « طيط » ويذهب في الريح . وللأديب الظريف السيد محمد عثمان‌جلال المتوفى سنة ١٣١٥ لما طبع كتابه « العيون » اليواقظ ولم يصادف رواجاً :

راجى المحـال عبيـــط   وآخر الزمـــــر طيــــط
والعلم من غير حـــظ   لا شـك جهــــل بسيــط

العبيط عند العامة : الأبله .

٦ ـ « آخِرِ المَعْرُوفْ ينْضَرِب بالكُفُوف » :

يضرب للمجازاة على الخير بالشر . وهم يقولون : (ضربه كف أو قلم) إذا لطمه على وجهه . وانظر قولهم . (آخر خدمة الغز علقة) .

٧ ـ « آدِي السَّماء وآدِي الأَرْض » :

أي ها هي ذي السماء وها هي ذي الأرض لا يمنعك مانع عن البحث فيهما عن بغيتك فابحث ونقر كما تشاء فلست بواجدها لأنها لا توجد . يضرب لمن يطلب المستحيل ويكثر ضربه عند فقد الأولاد للتسلية والحث على الصبر .

٨ ـ « آدِي وشّ الضّيفْ » :

كناية عمن يرتحل عن قوم ولا ينوي العودة إليهم . يقولون : خرجت وقلت لهم : آدِي وش الضيف ، أي هذا وجه الضيف الذي تبغضونه قد ذهب عنكم ولن يعود .

٩ ـ « آدِيني حَيَّةْ لّمّا أَشوفِ اللِّي جَيَّهْ » :

أشوف : أرى أي ها أنا ذى باقية في الحياة حتى أرى التي ستأتي وما ستمتاز به عليّ كما تقولون . تقوله المرأة تهكماً إذا عيبت أو رميت بتقصير في عملها فهددت بضرة أو بامرأة أخرى تقوم بالعمل .

١٠ ـ « آفِتي مَعْرفتِي رَاحْتِي مَا أعَرَفْشْ » :

أي آفتي ادعائي المعرفة لأني قد أكلف بما لا أعرفه أو أسأل عنه فافتضح . فالراحة العظمى في قولي : لا أعرف .

١١ ـ « آمْنُوا عَلَى مْشَنَّةْ مَلْيانهْ عِيشْ ولَا تآمْنُوا عَلَى بيتْ مَلْيَانْ جِيشْ » :

المشنة (بكسر ففتح مع تشديد النون) : طبق كبير للخبز يتخذ من العيدان ، أي ائتمنوا على طبق مملوء خبزاً من أن يتناهبه الناس ولا تأمنوا على دار مملوءة جنداً من الموت فقد يضيبهم ما يفنيهم عن أخرهم ولا تعني كثرتهم . والمراد ليش شيء أقرب من الموت .

١٢ ـ « إديّ سرك للي يصونه » :

أدي أي أعط ، والمعنى لا تفش سرك إلا لمن يصونه .

١٣ ـ « أدي العيش لخبازينه ولو يأكلوا نصه » :

أدي بمعنى أعط ، أي أخبز خبزك عند من يجيدون الخبز ، ولو سرقوا نصفه وأكلوه ، لأن الباقي منه ينتفع به لجودة خبزه ، أما إذا خبزته عند أمين جاهل أفسده وصاح عليك كله ، هو قريب من « أعط النفوس باريها » ولكن فيه زيادة في المعنى .

١٤ ـ « آدِّيني رغِيفْ ويْكُونْ نضِيفْ » :

أي أعطني رغيفاً ولكن بشرط أن يكون نظيفاً . يضرب لمن يستجدي ويتخير الصدقة فيقترح ويشترط .

١٥ ـ « إدِّيني عُمْر وَأَرمِينِي الْبَحْر » :

أي إذا كانت السلامة مكتوبة لي ولم يزل في عمري بقية فإن القائي باليمّ لا يضرني . يضرب لمن ينجو من خطر ولا تظن النجاة منه . والعرب تقول في أمثالها : (احرز أمراً أجله) قاله الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام ، حين قيل له : اتلقى عدوك حاسر الرأس ؟ قال الميداني : يقال هذا أصدق مثل ضربته العرب ـ ومن الأمثال التي تروي منه في هذا المعُنى : « نعم السجن أجل مستأجر » .

١٦ ـ « إدِينِي الْيُومْ صُوفْ وخُذْ بُكْرهْ خَرُوفْ » :

أديني بمعنى أعطيني ، وأصله أدلي ، يريدون أعطني اليوم صوفاً فإني راض به على أن أعطيك غداً خروفاً لأني أفضل العاجل على الآجل وإن كان دونه فهو في معنى المثل الآخر : (بيضة النهارده أحسن من فرخة بكره) .

١٧ ـ « إِذَا اشْتَدَّ الكَرْبُ هَانْ » :

هو في معنى مطلع المنفرجة لابن النحوي :

اشتدي أزمـــــه تنفرجـــــي قد آذن ليلـــك بالبلـــج

وأنشد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب لابراهيم بن العباس الصولي[1] :

ولرب نازلة يضيق بها الفتـــــى ذرعاً وعند الله منهـــا المخـرج

١٨ ـ « أَعْمَى وعَاملْ مَنَجِّمْ » :

عامل ، أي جاعل نفسه ، يضرب للمشتغل بما لا يستطيعه لأن الأعمى يستحيل عليه التنجيم .

١٩ ـ « أعمَى ويَبْرجِسْ فيِ النَّخْلْ » :

البرجسة عندهم : السباق بالخيل واللعب بها والأعمى لا يستطيع ذلك فإذا فعله وسط النخل فقد حاول المحل ليضرب للعاجز عن الشيء يأتيه في أصعب حالاته .

٢٠ ـ « أَعمَى ويْسرَقْ مِنْ مَفتَّحْ » :

المفتّح (بكسر أوله) وبصيغة اسم المفعول مع إرادة الفاعل وصوابه (ضمّ أوله وكسر ثالثه) ومعناه عندهم الذي يبصر . يضرب للتعجب ممّن يحاول ما لا يستطيعه ولا سيّما مع من في قدرته منعه وإحباط عمله .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٩ .

٢١ ـ « أَعمَى ويِقُولْ شُفْتْ بِعيني » :

شفت بمعنى نظرت ورأيت . يضرب لمن يدّعي ما لا يستطيعه .

٢٢ ـ « أَعمَى يُجرّ أَعمَى ويقُول لهُ ليلَةَ سَعِيدَهْ إِلّي اجْتَمَعْنَا ومكرسح يجر مكرسح ويقول يا الله نتفسح » .

أي أعمى يقود أعمى ويسر باجتماعهما ومقعد يجر مقعداً ويقول : هيا نتنزه وهو قريب من قولهم : (شبيه الشيء منجذب إليه) .

٢٣ ـ « الأَعوَر إِنْ طلَع السَّماء يفْسدِها » :

هو مبالغة في وصف الأمور بالفساد والمكر السيء ، وهم يرمونه دائماً بذلك ، بل يرمون به كل ذى عاهة من عرج أو كتع ونحوهما .

٢٤ ـ « الأَعورَ المَمْقُوتْ عنْد أَهلُهْ أَحَسَنْ من الأَعمَى عَلَىَ كل حَال » :

لأنه مع ما يصيبه من أذى أهله أحسن حالاً من الآخر أي (بعض الشر أهون من بعض) .

٢٥ ـ « أَعْوَرْ وعامل قَيدِّهَ » :

٢٦ ـ « افتكر بَلَدُه ونِسي وَلَدُه » :

يضرب فيمن يلهيه الاشتغال بشيء عما هو أهم منه وأعلق بالنفس .

٢٧ ـ « افْتَكر لك ليه يا بَصَلَهْ وكل عَضَّه بدمعهْ » :

أي ماذا أذكر لك يا بصلة من الطيبات وكل عضة فيك كانت تدمع لها عيني . وذلك لأن البصل لذاعّ حاد الرائحة تدمع عيني من يأكله . يضرب للمرء لم تعرف له حسنة أو معاملة طيبة يذكر بها .

٢٨ ـ « افْطَرْ عَلَى رَأَسْ حَيَّةْ ولا تَفْطَرْ عَلَى فولَهْ نَيَّةْ » :

أفطر على كذا أي كله في فطورك ، وهو عندهم طعام الصباح ، وهو مبالغة في تخنيب أكل الفول النيء ، أي الذي لم يطبخ ولا سيما في الصباح لأنهم يبالغون في شدة ضرره .

٢٩ ـ « إفْتكَرنا القُطَّ جَه يُنُطْ » :

يضرب للانسان يذكر في مجلس فيحضر مصادفة ، أن ذكرنا الهر فإذا به جاء يقفز ويثب . ويرويه بعضهم : (جبنا سيرة القط جه ينط) أي ذكرنا سيرته وأخباره . ومن أمثال العرب : (أذكر غائباً يقترب) قال الميداني : « ويروى : أذكر غائباً تره . قال أبو عبيد : هذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير أنه ذكر المختار يوماً وسأل عنه والمختار يومئذ بمكة قبيل أن يقدم العراق ، فبينا هو في ذكره إذ طلع المختار فقال ابن الزبير : (أذكر غائباً ... المثل) .

٣٠ ـ « أَفكَحْ الرِّجلِين صَبِي وكْبيرِ الرَّأسَ فارِسْ » :

وبعضهم يقدم : (كبير الرأس فارس) . والأفكح عندهم : معوج الساقين متباعدهما في المشي مع إقبال طرفيّ القدمين ، وهو محرّف عن الأفحج (بتقديم الحاء على الجيم) وفسر في اللغة بمن تدانى صدور قدميه وتباعد في مشيته . والعامة تزعم أن مثله قوياً ، وهم يعبرون عن القوي بالصبي .

٣١ ـ « أَفلَسْ منْ يهوَدُي نهَارِ السَّبتْ » :

لأن اليهود لا يتعاملون بالنقود فيه .

٣٢ ـ « إِقبَلْ عِذْر اللِّي يجي لَكْ لَحدِّ بَابِ الدَّار » :

أي من المرؤة وكرم النفس قبول عذر من جاءك معتذراً وطرق بابك[1] .

٣٣ ـ « حلَّها بَايدَكْ أَوْلَى مَا تْحِلّها بِسْنَانَكْ » :

الأيد (بكسر الأول) : اليد . والسنان (بكسر الأول أيضاً) : الأسنان ، أي تدارك الأمر وهو ميسر قبل أن يتعسر كالعقدة تحل كالعقدة تحل باليد ولكنها إذا تعسرت تحل بالأسنان ، ويروى : (بدال ما تحلّها بسنانك حلّها بأيدك) . والمراد بيداك بدل فأسبغوا فتحة الدال فتولدت الألف .

٣٤ ـ « حِلِمْ الجِعَانْ عَيشْ » :

انظر : (الجعان يحلم بسوق العيش) .

٣٥ ـ « حِلْمِ القُـطَـطْ كُـلُّـهْ فِيرانْ » :

يضرب في اشتغال بال كل شخص بما يهمه . وقولهم : (الجعان يحلم بسوق العيش) فهو قريب منه ، وانظر أيضاً : (اللي في بال أم الخير تحلم به بالليل) .

٣٦ ـ « حَمَاتِي مِنَاقَرةْ قَالْ طَـلَّـقْ بِنْتَهَا » :

منـاقرة ، أي مشاغبة . يضـرب للشاكي من الشيء وفي يـده خلاصة منه .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٣-١٨٧ .

٣٧ ـ « الحَمَا حُمَّهْ وأَخْت الجُوزْ عَقْرَبهْ صَمَّهْ » :

أي الحماة كالحمى في أذاها عكنتها ، وأخت الزوج كالعقرب الصماء ، ويريدون للشديدة اللدغ ، والعرب تقول : حية أصمّ وصماء للتي لا تقبل الرقي ، ولا تجيب الرقى والمراد التي لا دواء لنهشها .

٣٨ ـ « حُمَارتَكِ العَرجَهْ تغْنِيكْ عَنْ سُؤَالِ اللّئيم » :

أي حمارتك على ما فيها من الضعف تغنيك عن استعارتك دواب الناس ، وسؤالك لئيماً يمن عليك أو يواجهك برد قبيح ويروي : (حمارتي تغنيني عن سؤال اللئيم) والأول أكثر ، ويروى : (البخيل) بدل اللئيم . وانظر : (حمارتي العرجة إلى آخره .. و(حمارك الأعرج) إلى آخره ..

٣٩ ـ « حمارتي العرجة ولا فرسك يا ابن العم » :

أي حمارتي العرجة على ضعفها خير عندي من فرسك يا ابن العم ومغنية لي عنها وعن تحمل منتك . وانظر (حمارك الأعرج) إلى آخره ... (وحمارتك العرجة)[1] إلى آخره ...

٤٠ ـ أَبُوكِ غرَابْ .. لو أُمَّكْ لكَلْكَكْ ؟

يُضربُ للرَّجلِ يدسُّ أنفَه في أمورٍ لا هو منها ولا هُو على شاكِلَتِها .

وأصلُهُ :

أنَّ بعضَ صِبيان المحلَّةِ كانوا يلعبون في الطَّريق . فرأوا « خرَابهْ » فَدخَلُوها . وتسلَّقَ بعضُهم سَطْحها الأوَل ، ثم سَطحها الثاني وأشرفوا

(١) نفس المصدر السابق ص ١٨٧ .

على الطريق . فقال صَبيٌّ منهم : « مِنُو مِنْكُم يَـكَدَرْ يطير منّا لِلكَاعْ ؟ ..

فلم يجبْه أحدُ . فقال : « أتدرُون ؟ .. تَرَهْ آني أَكْدَرْ أَطيرْ !؟.. » .
فقالوا له : « يَا للهْ آشُو .. راوِينا شَطَارْتَكْ .. » . فرفع الصبيُّ يديه بجانبيه وهزَّهما من الأعلى إلى الأسفل مرّاتٍ .. ثم رَمَى بنفسهِ إلى الأرض ، فوقع فانكسرتْ رجلهُ . فصاحَ الصبيان ، وتجمهر أهل المحلّة . وجاء أبو الصَّبيِّ فأقتربَ من ولَدَه وسأله عمَّا جرى .. فقال الصبي « واللهِ بابا رِدِتْ شْوَيَّه أَطيرْ .. آشُو وْكَعِتْ وانكسرتْ رِجْلِي .. » فقالَ له أبوه ـ وَهو يَصفعُه ـ : (وْلَكْ مَلعْونَ الوالدَيْنْ .. مَتَفهِّمْني شلُون تِكَدْرَ اتْطير ؟ .. إي آخِرِ أنْتَ (أبُوكَ غرْابْ .. لوُ أُمَّكْ لكَلَكَكْ) .. حتَّى تِكَدْرْ تْطيرْ ؟ .. » فذَهَبَ قوله مثلاً .

٤١ ـ أَحِبَّكْ يَا نَافْعِي :

يُضرب للرجل يُفَضَّلْ ذا الفَضْلِ والإحسْانِ على غيرِهِ منَ الناس .

وأَصلُهُ :

أَنَّ قوماً تزَاملوا في سَفَر . فكانوا يجتمعون على الطعَّام ، فيأكلونَ ويشربون ويَتَسامرون . وفي أحَدِ اجتِماعاتِهم إنضمَّ إليهم أحد المُسَافرين . وكانتْ تبدو عليه علامات الفَقْر ، وأَمارَاتُ الفَاقةِ . فَجَلَسَ بعيداً عنهم لا يَتَـكلمَّ . فقامَ إليه أحدُهم ـ وكان كريماً مُحْسِناً ـ فناولَهُ شيئاً مما يأكلون ، فَشَكَرَ الرجلُ له[1] فضله . ثُمَّ قامَ إليهِ ثانيةً ، فناولَهُ شيئاً من الفاكهة والحَلْوى ، فأعاد الرجلُ شكره لهُ . ثم قامَ إليه ثالثةً فأعطاهُ كوزَاً من الماء .

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٢ .

ثم إنَّ القومَ جلسوا يتسامرون . فصارَ كلٌّ منهم يذكُرُ بعضاً من أحبائِهِ الغائبين ، فقال أحدُهم : « آني هْوايَه أَحِب ابْنِي .. وهِوْايَه واحِشْني .. » وقالَ الثاني : « والله آني أَحب مَرْتي كُلشّ هوْايه .. لأنَّها تداريني تَمام .. وبنْتْ حَلالْ » . وقالَ الثالثُ : « والله آني أحبْ ابُويَهْ كُلِّشْ هُوايَهْ .. لأنْ فَضَلَهْ هوايَهْ عَلَيّه » . وهكذا ، حتى انتهى الجميعُ من الكلام . فالتفت الكريمُ المُحْسنُ إلى الغَريبِ الفَقيرِ ، وقال له - ليشاركه في الحديث كرماً منه ولُطفاً - : « عَمّي .. أَشُو أنتَ ماكَلتْ إلْمَنِ تْحبِ ؟ » .. فقالَ الغريبُ - على الفَور - : « وَالله عَمّي .. آني (أَحبّك يا نافِعِي) . أي إنكّ نفعتني بكَرَمِكَ ، فأنا أحبُّك لذلك . فذَهَب قولهُ مثلاً[1] .

٤٢ - إحْنا جُنُودَكْ يا وَطَنْ .. والمُوتْ فَرْدَهْ يَمني :

يُضربُ للرجل يدَّعي البطولَة . والرجولةَ والتضحية ، ثم يجبن ويفرُّ عند ظهورِ بوادرِ الخَطر .

وأَصلُهُ :

أَنَّ جماعةً من إحدى محلات بغداد القديمة ، خَرجوا يتظاهرون - في زمن العُصْمَنْلي - احتجاجاً على نَقْل أحدِ الولاة . فأخرجوا سيوفَهم و« قاماتهم » وراحوا « يْهَوّسُونْ » ويُرددّونَ : (إحْنا جْنودَك يا وطن .. والموتْ فردةْ يَمني !) . ولما ساروا بعضَ المسافة . أوقفهم[1] رئيسهُم ، وصاح بهم : « يا جَماعَهْ .. إرجْعُوا تَرَهَ مِنّانَهْ القُلُّغْ ! .. فُوتوا من ذاكَ الْعَكَدْ ! .. » فَذهَب قولهم مَثَلاً .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٣ .

يعنونَ بقولهِم « المَوُت فَرَدَةْ يَمنيَ » : إنَّهم لا يبالون بالموتِ فَهُوَ عندَهم بمنزلةِ « فَرْدَةِ اليمنى » ؛ .. والـ « يَمنَى » : نوعُ من الأَحذية البغدادية القديمة .

٤٣ ـ إذَا صَاحبَكْ حِلُو .. لا تِلْحَسه كُلَّهْ :

يُضربُ للرجل يَتَمادى في تَحْمل صاحِبِهِ مالا طاقَةَ لهُ به .

ولا أعرفُ للمثل قصة .

٤٤ ـ اسأل مْجَرَّبْ ولا تِسْأَلَ حَكيمْ :

يُضرب للحْثِّ على الاعتمادِ على ذوي الخبرة في الأُمور .

إذ أنَّ « المُجرِّبَ » قد خَبَر الأمورَ بنفسهِ ، وذاقَ حلُوَها ومُرَّها ، وتمرّس بمعرفتها . أمّا « الحكيمُ » فقد سمع بها من الأفواه ، وَقَرأَ عنها في الكتب ، فليس مَنْ سَمِعَ وَقَرأَ ، كَمَنَ خَبَرَ وجَرَّبَ .

ولا أعرفُ للمثل قصة .

٤٥ ـ اسْتَكْبرُهَا وْلوُ جَانَتْ مُرَّة[1] :

تضربُ للرجل يطمع بأمور يستعظمُ مظاهرَها ولا يَهمُّه مُحتواها .

وأَصلُه :

أنَّ أَعرابياً جاء إلى مدينة بغداد ومعه ولدُه . فرأى الولد « خيار تَعْروزي » ، فطلب من والده أن يَشتَري له منه . فاتفق الأب مع البائع على الثمن ، وهو قرشُ واحد لكل « خياره » . فأخذ « خيارة » كبيرةً له ، وأُخرى لولده . فقال له ولدُه : « بوية .. خيْار الكبار

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٦ .

تَرَهَ ما يسْوَهْ . يطْلَعْ بيه مبزِّر .. مُرّْ .. » فقال له أبوُه : (اسْتَكْبُرْهَا ولوُ جَانَتْ مُرَّهْ) . أي خُذْهَا كبيرة ولو كانت مرَّةَ الطعّم فذهب قوله مثلاً .

٤٦ ـ **إسمَهُ بالحَصَادْ .. ومِنْجَلَهْ مَكْسُورْ :**

يُضربُ للرجل يشتهرُ بينَ الناسِ بأمرٍ هو بَعيدُ عنه كلَّ البُعْدِ[١] .

٤٧ ـ **لو عرفت** الذي مثّل الأمثال لعملت له قبة ومزار .

٤٨ ـ **ابتعد عن** الشر وغنيلو وجيب فاس وقنديله .

٤٩ ـ **إن كان** حبيبك عسل لا تلحسو كلو .

٥٠ ـ **أكل الهدية** وكسر الزبدية .

٥١ ـ **احترت** يا قرعة منين بدي بوسك .

٥٢ ـ **اسأل مجرب** ولا تسأل حكيم .

٥٣ ـ **أهل الكرامات** لهم علامات .

٥٤ ـ **الحق البوم** بدلك على الخراب .

٥٥ ـ **بعد الكبرة** جبة حمرا[٢] .

٥٦ ـ **اسمه بالحصاد** ومنجله مكسور .

٥٧ ـ **استكبرها ولو كانت مرة .**

٥٨ ـ الأعور بين العميين سلطان .

٥٩ ـ **اكعد** أعوج واحجي عدل .

٦٠ ـ **بعد ما** شاب ودوه الكتاب .

---

(١) كتاب مجمع الأمثال البغدادية ص ٢٧ .

(٢) مستلة بتصرف من كتاب الأمثال العامية اللبنانية للاستاذ سعد الدين عبد الله فرّوخ (كتاب مخطوط) بيروت .

٦١ ـ **اللي يأكل** على درسه ينفع نفسه[١] .
٦٢ ـ **في تموز** بتغلي المي بالكوز .
٦٣ ـ **خبي فحماتك** الكبار لعمك آذار .
٦٤ ـ **برد الصيف** أحد من السيف .
٦٥ ـ **لو بدها** تشتي غيّمت .
٦٦ ـ **الوحدة** عبادة .
٦٧ ـ **شباط** ما عليه رباط[٢] .
٦٨ ـ **عش رجبا** ترى عجبا .
٦٩ ـ **عند النوى** يكذبك الصادق .
٧٠ ـ **على** الخبير سقطت .
٧١ ـ **قبل البكاء** كان وجهك عابساً[٣] .

---

(١) كتاب الأمثال العامية البغدادية / د محمد صادق زلزلة . مؤسسة دار الكتب . وراجع كتاب الأمثال لمنير القاضي / بغداد / دار المجمع العلمي . وراجع للاستزادة الباب الثاني والثالث من الجزء الثاني من بحثنا هذا .
(٢) مستلة بتصرف من القسم الثاني والسادس (الأمثال العامة الفلسطينية) مجلة الفنون الشعبية في فلسطين / يسرى جوهرية عرنيطه ص ١٨٧ .
(٣) كتاب الوسيط في الأمثال /. د عفيف محمد عبد الرحمن / مؤسسة دار الكتب / الكويت .

البابُ الثالِث

عصر ابن القيم

قبل أن نتحدث عن العالم الجليل ابن القيّم الجوزية ، لا بدّ لنا من وقفة ولو قصيرة مع عصره وبيئته التي عاش فيها من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية . ولا يخفى على كل فطين لبيب ما لهذه العوامل من أبلغ الآثار على نفسية الأمة وأفرادها .

ولقد سبق مولد ابن القيّم **حادثتين** كان لهما أكبر الأثر في خلق الروح الدينية وبعثها من جديد ، أجل لقد كان للحروب الصليبية وهجمات التتار على البلاد الإسلامية الأثر العظيم الذي أيقظ الأمة وجمع شملها وكلمتها فوقفت أزاء هذا وذاك موقفاً رائعاً بين كروفر وهزيمة ونصر .

زحف التتار على بغداد :

وأول فجيعة وكارثة مني بها المسلمون سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، واستيلاء هولاكو عليها حيث أمر بقتل الخليفة المعتصم بالله ، واستباح أعناق العلماء والفقهاء فاطار رؤوسهم وامعن ببغداد سلباً ونهباً وفي مكتباتها إحراقاً وإغراقاً وفي دورها دماراً وخراباً حتى أصبحت بغداد أثراً بعد عين . ولقد بلغ عدد القتلى ألف وثمانمائة ألف وكسرا [١] .

ولقد وصف السيد محمد سالم الغنيمي هذه الحادثة بقوله :

(فهذا الحادث الجلل زلزل كيان العالم الإسلامي وحطّم جهاز

---

(١) النجوم الزاهرة جزء (٧) ص ٥٠ ، الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية .

الدولة الإسلامية فعندما استولى هولاكو على بغداد ... قتل الخليفة المعتصم بالله شر قتلة وقتل أهله وحريمه وأمر بضرب أعناق الفقهاء والعلماء والأعيان واستمر القتل والنهب والسبي في بغداد بضعة وثلاثين يوماً »[1] .

أجل « هذا الحادث غير وجه التاريخ وأيقظ العالم الإسلامي من سباته العميق ، فأيقن أن إسلام أمره إلى الحكام دون مناقشتهم فيما يأتون هو الذي أطمع عدوهم وخضد شوكتهم ومن يقرأ كتب التاريخ يجد مواقف مشرّفة وقفها العلماء أمام الحكّام حتى هابوهم وأخذوا باشارتهم فيما يبرمون[2] . هذا ولقد ولد ابن القيّم بعد هزيمة الصليبيين بعام واحد .

الحروب الصليبية :

لقد كان لسوء الحالة الاقتصادية في أوروبا الدافع الأكبر للزحف والمغامرة وركوب البحر للهيمنة والاستيلاء على البلاد الإسلامية لاعتقادهم بأنها جنة الله في أرضه حباها جمالاً وأودع في بطنها أثمن الكنوز واندرها .

وأثرت عقولهم خطب طنانةسحرهم بها رؤساؤهم حيث أوهمهم رؤساؤهم أن الشرق الإسلامي بلاد الذهب لا يلبث نزيله أن يغتني[3] .

وانتهز البابا شكوى بعض حجاج بيت المقدس من سوء المعاملة

---

(١) ابن قيّم الجوزية / محمد سالم الغنيمي ص ٤٧ / المكتب الإسلامي .
(٢) انظر كتاب ابن القيّم الجوزية عصره ومنهجه للدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين ص ٤٤/ مكتبة الكليات الأزهرية .
(٣) الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ، ص ٢٩٤ .

التي لاقوها في أثناء زيارتهم للأراضي المقدسة فخطب خطبته الشهيرة التي حثّ فيها ملوك أوروبا على غزو الشرق واشتملت خطبته على :

١ ـ تخليص الأراضي المقدسة من الكفرة .

٢ ـ تخليص أراضي الامبراطورية البزنطية التي استولى عليها الترك .

٣ ـ حث الأمراء على توسيع أملاكهم في الشرق الغني بدلاً من تطاحنهم في أراضيهم الفقيرة[١] .

الحملة الصليبية الأولى :

وهكذا لبّى المسيحيّون دعوى البابا بحرارة واندفاع واستولوا في الحملة الأولى على **الرها والقدس** .

وجاسوا خلال الديار ودمّروا وخربّوا وسفكوا الدماء ولم ينج خلال هذه الهجمة مسلم ولا يهودي .

ولبث **الفرنج يقتلون المسلمين** بالقدس أسبوعاً كاملاً وقتل من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد على **سبعين ألف** نفس منهم جماعة كثيرة من **أئمة** المسلمين **وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم** حتى جاوزوا في ذلك الموضع الشريف وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء[٢] .

صلاح الدين الأيوبي :

وبدأ **الكر للمسلمين والفرّ للصليبيين** حيث قيضّ المولى لهذه الأمة من يعيد لها كرامتها ووجودها ويبعد عنها كل باغ حيث زحف على

---

(١) خطط الشام ، جزء (١) ص ٢٧٧ .

(٢) ابن قيّم الجوزية لمحمد مسلم الغنيمي ، ص ٣٦ / المكتب الاسلامي .

القدس وطهرها من براثم **الصليبيين الغازين** بعد أن طهّر **فلسطين** كلها من وجودهم .

والمتصفح لآثار التاريخ والمقارن بين ما قام به **الصليبيون** عند دخولهم القدس وما فعلوه وما ارتكبوه من إثم وبغي وعدوان وما أظهره **صلاح الدين** من **مرؤة وشهامة وكريم الأخلاق والتسامح** .

حيث سمح بخروج الملكة **ماريا كوفين زوجة باليان وأمر** بتوفير الحماية لها . وسمح **بخروج المسيحيين** من المدينة مقابل عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة وواحد للاطفال[1] . حتى أن هرقل بطريق بيت المقدس دفع لنفسه الدنانير العشرة وغادر المدينة حاملاً معة ما استطاع حمله من الذهب والفضة **ويذكر ابن الأثير** أن **صلاح الدين** رفض أن يتعرّض لأموال **البطريق** وقال : **لا أغدر به**[2] .

كما أنه أظهر **تسامحاً كبيراً** مع **الفقراء** من الذين عجزوا عن دفع **الجزية** كما أنه عامل **النساء المسيحيات** معاملة كريمة وسمح بخروجهن معززات ومعهن أموالهن .

زحف التتار على دمشق :

لقد كان لأنتصار التتار واستيلائهم على بغداد الأثر الخطير في نفوس التتاريين بصفة عامة والأثر الأخطر على هولاكو بصفة خاصة حيث امتدت أنظاره إلى بلاد الشام وما وراءها[3] .

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ٤٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل : حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

(٣) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ .

فكان زحفهم عرمرمياً فاق كل حد من حيث بشاعته وهمجيته تماماً كما فعل في بغداد حيث أوقع الرعب في نفوس أهل الشام وأمعن في علمائها وشيوخها تقتيلاً وقهراً فحلّ الدمار في الشام كما حلّ ببغداد .

الرجل المنتظر :

وهال حاكم مصر وشعبها فظاعة الأخبار التي داهمتهم وهم كغيرهم في سبات عميق غارقين في بحبوحة العيش وسمر الحياة الدنيا ولهوها ولعبها .

فانتفضوا انتفاضة الآساد وهرعوا لملاقاة هولاكو وجنوده فكان على رأسهم الملك المظفر قطز وكان اللقاء في عين **جالوت**[1] .

حيث وقعت معركة فاصلة بين الفريقين ، اشتد أوارها وحمي وطيسها وانجلت عن هزيمة ساحقة للتتار لم تقم لهم بعدها قائمة[2] .

ولقد وصف صاحب (النجوم الزاهرة)[3] شجاعة الظاهر بيبرس واصفاً له في إحدى المعارك ، « ثم حمل بنفسه ـ رحمة الله ـ فلمّا رأته العساكر حملت نحوه برمتها حملة رجل واحد ، فترجل التتار عن خيولهم وقاتلوا قتال الموت فلم يغن عنهم ذلك شيئاً ، وصبر لهم الملك القاهر وعسكره وهو يكرّ في القوم كالأسد الضاري ويقتحم الأهوال بنفسه ، ويشجع أصحابه ويطيب لهم الموت في الجهاد إلى أن أنزل الله

---

(١) جزء (٧) النجوم الزاهرة ، ص ٧٧ ، مطبعة دار الكتاب المصرية .
(٢) جزء (٧) النجوم الزاهرة ، ص ٧٩ .
(٣) جزء (٧) النجوم الزاهرة ، ص ٧٢ .

تعالى نصره عليه[1] .

ولا بدّ لنا أن نصوّر فرحة الأمة وابنائها بهذا الانتصار بأبيات للشيخ شهاب الدين أبو شامة حيث قال :

غلـب التتار على البـلاد فجاءهم من مصر تركي يجـود بنفسـه
بالشام أهلكهم ، وبـدّد شملهـم ولكل شيء آفـة من جنسه

(١) جزء (٧) النجوم الزاهرة ص ١٦٨ .

ابن القيّم الجوزيَّة

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ، ولعلّ من يسمع بابن الجوزية يشكّل عليه أيهما المقصود بهذا الاسم ولإزالة الإبهام واللبس لا بدّ لنا من ابراز لمحة سريعة موجزة عن كل من لُقبّ بهذا الإسم .

أولاً :

ـ ابن القيّم المصري ، بهاء الدين علي بن عيسى بن سليمان الثعلبي المصري كان محدثاً كبيراً روى عن الفخر الفارسي ، توفي بمصر في ذي القعدة عام ٦١٠ هـ[١] .

ثانياً :

ـ ابن الجوزي ، أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي المتوفى في بغداد عام (٥٩٧ هـ ١٢٠١ م) ، وينتهي نسبه إلى الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق ولقب بالجوزي نسبة إلى محلة في البصرة تسمى محلة الجوز ولد في زقاق « درب حبيب » .

توفي ليلة الجمعة في الثامن عشر من شهر رمضان تموز ١٢٠١م[٢] .

---

(١) كتاب حسن المحاضرة جزء (١) ص ١٦٣ .

(٢) صفوة الصفوة للامام ابن الجوزي ، تحقيق محمود فاخوري جزء (١) ص ١٠ .

ثالثاً :

ـ **ابن القيم الجوزية** والذي نحن بصدد تحقيق كتابه (الأمثال في القرآن الكريم .

حياته ونسبه :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ولقد سميّ ونسب إلى الزرعي نسبة إلى قرية أسمها **زرع في حوران** يطلق عليها « أزرع » في يومنا هذا[١] ولقد أشار الأستاذ أحمد عبيد في كتابه الذي نشره عن كلمة (زرع) مشيراً إلى أنها كانت زرا[٢] .

كما اتفق مع هذا الرأي وايدّه معجم البلدان لياقوت الحموي . حيث أشار إلى كلمة (زرا) قال معرفاً بابن القيّم : « بأنه الحافظ أبو القاسم الدمشقي علي بن الحسين بن ثابت بن جميل أبو الحسن الجهني الزرعي الإمام من أهل (زرا) التي تدعى اليوم « زرع » من حوران » .

كما أن ابن القيّم رحمه الله لُقبَّ بالدمشقي . أبو عبد الله شمس الدين الدمشقي نسبة إلى دمشق ولقد كان والده مشرفاً على الجوزية[٣] .

ولقد أطلق عليه لقب **الجوزية** نسبة إلى هذه المدرسة المسماة **بالجوزية** التي بناها **محي الدين بن الحافظ** يحيا القرع بن الجوزي بسوق القمح بدمشق ، ولقد صارت فيما بعد محكمة سنة ١٣٢٧ هـ ثم أقفلت

---

(١) انظر كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين . وكتاب هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين جزء (٦) ، ص ١٠٨ وكتاب شذرات الذهب جزء الثاني .

(٢) نفس المصدر .

(٣) معجم البلدان جزء (٤) ط الأولى سنة ١٣٢٤ هـ جزء (١) ص ٣٨ .

حيث فتحتها بعد ذلك جمعية الإسعاف الخيري وجعلت منها مدرسة لتعليم الأطفال حيث احترقت بعد ذلك في الثورة السورية[١] .

لقد تولّى ابن الجوزية التدريس بالمدرسة الجوزية وبمدرسة أخرى تدعى « الصدرية » وهي مدرسة كانت بدرب الريحان بدمشق ، ولقد مُحيتْ آثارها اليوم حيث صارت دوراً وحدائق[٢] .

ولادته ونشأته :

ولد في ٧ صفر سنة ٦٩١ هـ وتوفي في ١٣ رجب سنة ٧٥١ ولقد اختلف العلماء في سنة ولادته ووفاته فمنهم من ذكر أنه ولد سنة ٦٩١[٣] وتوفي سنة ٧٥١ هـ فيكون عمره حينذاك ستين سنة .

ـ ولقد اتفقت دائرة المعارف الإسلامية مع ابن كثير صاحب البداية والنهاية[٤] وابن العماد صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب[٥] وابن حجر صاحب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة[٦] وابن رجب صاحب طبقات الحنابلة[٧] والشطي صاحب مختصر

---

(١) انظر كتاب روضة المحبين (المقدمة) .
(٢) انظر كتاب روضة المحبين جزء (١٣) صفحة ٢١٦ البداية والنهاية .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٢٦٨/١ .
(٤) البداية والنهاية جزء (١٤) ص ٢٣٤ مطبعة السعادة .
(٥) شذرات الذهب ص ١٦٨ .
(٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة جزء (٣) ص ٤٠٠ طبعة الهند .
(٧) طبقات الحنابلة جزء (٣) نسخة مصورة بدار الكتب المصرية آخر الجزء الثالث وآخر جزء (٢) ص ٥٩٣ النسخة المخطوطة .

طبقات الحنابلة[1] وابن الألوسي[2] حيث أجمعوا على أن ابن القيم عاش (٦٠) سنة هـ ولو نظرنا إلى التاريخ الميلادي الذي ذكرته دائرة المعارف كان مقتضى هذا أنه عاش (٦٤) سنة بالتاريخ الميلادي. هذا التفاوت في المدة التي عاشها ابن القيم بين التاريخين الهجري والميلادي كما ذكرت **دائرة المعارف**، دفع الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين في كتابه[3] عن ابن القيّم إلى أن يبذل جهداً مشكوراً في التثبت من مولد ابن القيّم وأن يجري مقارنة حسابية بين السنة الهجرية والميلادية باحثاً مدققاً في المصادر التي تتناول هذا الموضوع والتي تقارن التاريخ الهجري بالميلادي، ومنها الالهامية[4].

حيث أثبت أن عام مولد ابن القيّم سنة **٦٩١** هـ ويوافق عام **١٢٩٢** م، وهذا يوافق ما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية.

وهنا لا بدّ لنا أن نثبت بالتفصيل ما قام به الدكتور العلّامة عبد العظيم عبد السلام شرف الدين حول هذا الموضوع حيث قال:

« ... هذا التفاوت في المدة التي عاشها ابن القيّم بين التاريخين الهجري والميلادي كما ذكرته دائرة المعارف دفعني إلى التثبت من الأمر، فهرعت إلى المصادر التي تقارن التاريخ الهجري بالميلادي، ومنها كتاب التوفيقات الإلهامية ... فوجدت أن عام مولده **٦٩١** ويوافق

---

(١) مختصر طبقات الحنابلة للشطي ص ٦١.
(٢) صاحب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين. انظر ص ٢٠.
(٣) انظر كتاب ابن القيّم، عصره ومنهجه للدكتور عبد العظيم عبد السلام. مكتبة كليات الأزهر.
(٤) كتاب التوفيقات الالهامية للواء محمد مختار باشا سنة ١٣١١ هـ.

سنة ١٢٩٢ م ، كما ذكرت دائرة المعارف الإسلامية ووجدت أن سنة ٧٥١ توافق سنة ١٣٥٠ م ، كما طبقت القاعدة التالية :

التاريخ الهجري = (التاريخ الميلادي ـ ٦٢٢) × $\frac{١٠٠}{٩٧}$

التاريخ الميلادي = (التاريخ الهجري × $\frac{٩٧}{١٠٠}$) + ٦٢٢ .

ولما كانت كل المصادر مجمعة على أن وفاته = سنة ٧٥١ هـ ومنها دائرة المعارف الإسلامية ، وكان المطلوب التحقق من التاريخ الميلادي ، فمقتضي القاعدة السابقة هو أن التاريخ الميلادي = ٦٢٢ + $\frac{(٧٥ \times ٩٧)}{١٠٠}$ = ١٣٥٠ م .

وعلى هذا تكون دائرة المعارف قد جانبها الصوابَ إذا اعبرت أن وفاته غام ١٢٥٦ م ويكون الصواب أن ابن القيّم عاش من (٦٩١ هـ ـ ٧٥١ هـ) (١٢٩٢ م ـ ١٣٥٠ م) ....[1] .

على هذا فإني أرى أن ما أشار إليه الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين حول إثبات مولده ووفاته متطابق كل التطابق مع التاريخ الذي اثبته إجماع المتقدمين القدامى على وفاته عام ٧٥١ وقد وافقتهم دائرة المعارف في هذا .

وليس هناك اثبت للواقع من حيث الدقة من الذي ذهب إليه

---

(١) نقل بتصرّف ، انظر كتاب ابن القيّم الجوزية عصره ومنهجه للدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين ص ٦٩ .

كلّ من تلميذيّ ابن القيّم :

- ابن كثير .
- ابن رجب .

حيث أثبتوا تاريخ ميلاده ووفاته وفقاً لما أشار إليه الدكتور عبد العظيم وأجمع عليه المتقدمون الأوائل . **وخلاصة القول** : أنه ولد عام ٦٩١ هـ ، وتوفي عام ٧٥١ هـ ، ١٣٥٠ م .

عصر ابن القيّم ومؤلفاته
وأقوال العلماء فيه

عصره :

ولد ابن القيّم في عصر ازدهرت فيه العلوم ، ونشأ في بيت علم وفضل ، وأخذ العلم عن كبار علماء عصره ، ونهل من موارد عذبة في الفقه والأصول والفرائض وتبحر في لغته الأم اللغة العربية .

شيوخه واساتذته :

وأخذ العلم عن فحول علماء عصره منهم شيخه واستاذه الأكبر تقي الدين ابن تميمة .

- الشهاب النابلسي .
- أبو بكر بن عبد الدايم .
- القاضي الشيرازي .
- ابن مكتوم .
- البهاء وابن العساكر .
- علاء الدين الكندي .
- الصفي الهندي .
- محمد ابن أبي الفتح .
- أيوب ابن الكمال .
- القاضي بدر الدين بن جماعة .
- اسماعيل بن محمد .
- أبو الفتح البعلبكي .

ـ المجد التونسي .

ـ اسماعيل بن محمد الحرّاني .

ولقد صَنّف الأستاذ مسلم الغنيمي في كتابه (ابن قيّم الجوزية مؤلفاته وفق الشكل التالي : اثبتها لحسنها ودقة تنظيمها[1] .

(١) انظر كتاب ابن قيّم الجوزية لمحمد مسلم الغنيمي ص ١١١ المكتب الاسلامي

مؤلفاته في العلوم الإسلامية :

١ ـ ألّف في الفقه والأصول : أعلام الموقعين عن رب العالمين في ثلاثة أجزاء . والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، والصلاة وأحكام تاركها .

٢ ـ وفي التصوّف : مدارج السالكين شرح منازل السائرين . وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين . حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح .

٣ ـ وفي علم الكلام والجدل : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ، والحكمة والتعليل . الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية . الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .

٤ ـ وفي الفقه والسيرة : زاد المعاد في هدى خير العباد وهو سيرة الرسول الأكرم ﷺ وغزواته ، وفيه إلى جانب ذلك أبحاث فقهية .

٥ ـ وفي التاريخ والإجتماع : أخبار النساء وهو يمثل جانباً من جوانب المجتمع . فهو إذن فقيه متكلم محدث مفسر .

مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمحفوظة في المكاتب العامة والخاصة وما وصل إلينا اسمه ، ولم نر له عيناً ولا أثراً .

المؤلفات المطبوعة :

١ ـ اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية ، طبع في أمر تسر الهند سنة ١٣١٤ هـ .

٢ ـ أخبار النساء طبع في مصر سنة ١٣٠٧ وسنة ١٣١٩ هـ .

٣ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين. طبع في دلهي الهند سنة ١٣١٣ وفي مصر سنة ١٣٢٥ وطبع مرة أخرى في مصر بلا تاريخ.

٤ ـ إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان طبع في مصر سنة ١٣٣٢ هـ.

٥ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، طبع في مصر سنة ١٣٢٠ هـ.

٦ ـ بدائع الفوائد. طبع في المطبعة المنيرية في مصر.

٧ ـ التبيان في أقسام القرآن. طبع في مكة المكرمة سنة ١٣٢١ هـ.

٨ ـ تحفة المودود في أحكام المولود. طبع في لاهور الهند سنة ١٣٣٩.

٩ ـ تفسير سورة الفاتحة والمعوذتين، طبع في مصر.

١٠ ـ جلاء الإفهام في ذكر الصلاة على خير الانام، طبع في الهند.

١١ ـ الجواب الكافي لمنْ سأل عن الدواء الشافي ويسمى الداء والدواء طبع في مصر سنة ١٣٤٦ هـ وفي الهند سنة ١٣٠٧.

١٢ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. طبع مع أعلام الموقعين في مصر سنة ١٣٢٥ هـ. وطبع ـ وحده ـ منفرداً.

١٣ ـ حكم ترك الصلاة. طبع مع كتاب الصلاة ومن يلزم فيها للإمام أحمد. باسم الصلاة وأحكام تاركها سنة ١٣٢٣ هـ.

١٤ ـ الروح طبع في حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ سنة ١٣١٨ وسنة ١٣٢٤، وقد اختصره برهان الدين البقاعي.

١٥ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين. طبع في دمشق سنة ١٣٤٩.

١٦ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد . طبع في كالبور الهند سنة ١٣٩٨ وطبع في مصر سنة ١٣٢٤ وسنة ١٣٤٧ .

١٧ ـ شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، طبع في مصر سنة ١٣٢٣ .

١٨ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية . طبع في مصر سنة ١٣١٧ هـ .

١٩ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين . طبع في مصر سنة ١٣٤١ و١٣٤٩ هـ .

٢٠ ـ الفروسية المحمدية ، طبع في مصر .

٢١ ـ الفوائد . طبع في مصر .

٢٢ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، طبع في مصر سنة ١٣٢٧ هـ .

٢٣ ـ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، طبع في الهند ثم في مصر سنة ١٣١٩ هـ .

٢٤ ـ مدارج السالكين بيان منازل اياك نعبد وإياك نستعين طبع في مصر سنة ١٣٢٣ هـ .

٢٥ ـ مفتاح باب السعادة ومشوار لواء العلم والإرادة ، طبع في مصر سنة ١٣٢٣ .

٢٦ ـ مصايد الشيطان ، طبع سنة ١٣٢٠ ، وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة بخط المؤلف ..

٢٧ ـ هداية الحيارى من اليهود النصارى ، طبع في مصر سنة

١٣٢٣ وطبع في مصر مع كتاب الفارق بين المخلوق والخالق سنة ١٣٢٢ .

٢٨ ــ الوابل الصيب من الكلم الطيب . طبع في الهند . ثم في مصر . ثم في دمشق .

٢٩ ــ تهذيب مختصر سنن أبي داوود وإيضاح مشكلاته . والكلام على وفاته وما فيه من الأحاديث المعلولة . والمختصر للحافظ المنذري .

هذا ما وصل إلينا من كتبه المطبوعة ، ولعلّ هناك من الكتب ما لم نطّلع عليه .

أما كتبه المخطوطة المحفوظة في المكتبات العامة والخاصة والتي تنتظر اليد الكريمة لتخرجها من الظلمات إلى النور ، فأليك جدولاً باسماء ما عثرنا عليه . ما ذكرها له المؤرخون :

١ ــ أمثال القرآن جمع مثل ، (والذي نحن بصدد تحقيقه واخراجه إن شاء الله) .

٢ ــ بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً .

٣ ــ التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير .

٤ ــ التحفة المكية .

٥ ــ تفضيل مكة على المدينة .

٦ ــ جوابات عابدي الصلبان وإن ما هم عليه دين الشيطان .

٧ ــ حرمة السماع .

٨ ــ حكم اغماء هلال رمضان .

٩ ــ الرسالة الجليلة في الطريقة المحمدية . نظم .

١٠ ــ رفع التنزيل .

١١ ــ رفع اليدين في الصلاة .

١٢ ـ زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خير الأنبياء .

١٣ ـ السنة والبدعة (نقل عن الشيخ داوود النقشبندي البغدادي في كتاب صلح الاخوان) .

١٤ ـ شرح الأسماء الحسنى .

١٥ ـ شرح أسماء الكتاب العزيز .

١٦ ـ الصبر والسكن .

١٧ ـ الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم .

١٨ ـ الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة .

١٩ ـ الطاعون .

٢٠ ـ طب القلوب (ذكر الأستاذ المعلوف أن في مكتبة برلين نسخة منه) .

٢١ ـ عقد محكم الأحياء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء . ذكر في كشف الظنون أنه شرح الكلم الطيب لشيخه ابن تيمية .

٢٢ ـ الفتح القدسي .

٢٣ ـ الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه .

٢٤ ـ فضل العلم .

٢٥ ـ الكافية الشافية في النحو (ذكرها في كشف الظنون ، قال : وله الكافية في الانتصار للفرقة الناجية) وهو المطبوع في الهند ومصر سنة ١٣١٩ كما سرد ذكر أسماء كتبه المطبوعة .

٢٦ ـ الكبائر (نقل عن النقشندي في صلح الإخوان) .

٢٧ ـ الكلم الطيب والعمل الصالح .

٢٨ ـ المسائل الطرابلسية .

٢٩ ـ معاني الأدوات والحروف .

٣٠ ـ المهدي .

٣١ ـ المهذب .

٣٢ ـ نقد المنقول والمحك بين المردود والمقبول .

٣٣ ـ نكاح المحرم .

٣٤ ـ نور المؤمن وحياته .

٣٥ ـ الهدي السوي (هكذا ذكره في كشف الظنون ـ ولعله الهدي النبوي أو زاد المعاد) .

ابن القيّم ..وابن تيمية

وكان لابن القيّم شيوخ كثيرون ، تتلمذ عليهم وأخذ منهم وروى عنهم ، غير أن الذي أثر فيه أعظم التأثير ، هو شيخه شيخ الإسلام الإمام المجدد **ابن تيمية** الذي لازمه أكثر من ست سنوات فأخذ عنه العديد من آرائه ، والكثير من أفكاره واقتدى به في مذهبه الحر في البحث والدراسة ، ونقم مثله على الجمود والتعصب المذهبي .

ولقد آثر ابن تيمية وصيته الجامعة لتلميذه ابن القيّم إذ قال له : (لا تجعل قلبك للايرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح بها إلا بها ، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمرّ الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها ، فيراها بصفاته ويدفعها بصلابته ، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمرّ عليك صار مقراً للشبهات) .

يقول ابن القيّم : (فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك) .

ولم تكن هذه الوصية وحدها هي التي انتفع بها **ابن القيّم** من علم شيخه وإنّما أخذ عنه الكثير ، وتلقى عنه العلم النافع الغزير .

فلقد استوعب بحق تراث شيخه أعظم استيعاب ، وأخذ يراجعه مراجعة دقيقة واعية ، تلمح ذلك وأنت تراجع أثر الرجلين ، إذ

ترى **ابن تيمية** واضحاً كل الوضوح ، ظاهر الشيمات والملامح ، وأنت تراجع مؤلفات **ابن القيّم** وتستوعب أبوابها وفصولها .

وليس بين الرجلين فارق يذكر في (**المنهج الفكري**) سوى حدة **المزاج** عند ابن تيمية **ورقة الأسلوب** عند ابن القيّم ، وما عدا ذلك الخلاف عندي هو ما كان لابن تيمية من طبيعة **المفكر** الرائد ، الذي يصول بفكره ، ويجاهد حول تقريره والزام الناس به .

ولقد عاني من جرّاء ذلك الكثير ، عُذّب كثيراً ، وأوذي كثيراً وحوكم كثيراً ، وسجن كثيراً .

أمّا ابن القيّم ، فهو إمام مسبوق ، بين يديه مادة خصبة ثرية أخذها عن شيخه ، فما عليه إلّا أن يناقش هذه المادة في هدوء وبأسلوب متأن بعيد عن الإنفعال .

اقوال العلماء فيه

لقد شهد العلماء له بالعلم والفضل وسعة الإطلاع والزهد والورع والتقوى وخدمة العلم ، قال عنه الذهبي[1] في المختصر : « عني ابن القيّم رحمه الله بالحديث وفنونه وبعض رجاله وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره وفي النحو ويدريه » . وقال عنه القاضي برهان الدين الزرعي[2] : « ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه ، كتب بخطه ما لا يوصف كثرة » . وقال عنه ابن حجر[3] : « كان جريء الجنان واسع العلم ، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف ، وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك وقد هذّب كتبه كلها »[4] . وقال فيه محمد بن علي الشوكاني : « كان متقيداً بالأدلة الصحيحة معجباً بالعمل بها غير مُعوّل على الرأي صادعاً بالحق لا يحابي فيه أحداً » وقال عنه ابن كثير[5] : « كان كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق ، كثير التردد ، لا يحسد ولا يحقد على أحد وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه » .

---

(١) طبقات الحنابلة لابن رجب مخطوط بدار الكتب المصرية ص ٥٩٣ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .
(٣) الدرر الكامنة جزء (٣) ص ٤٠٠ .
(٤) نفس المصدر السابق .
(٥) نفس المصدر السابق .

قال عنه محمد الزقزاق :

« ابن القيّم الجوزيّة من الشخصيات التي تمتاز بنفاذ الذهن وبعد الغور ، ووفرة الإنتاج ووفرة المحفوظ ، والتحرر من ربقة التقليد الأعمى الذي يطمس معالم الحق ويقف حجر عثرة في سبيل الوصول إلى الصواب .

والحق أنه رحمه الله كان غزير الإنتاج جارى استاذه ابن تيمية فتتبع خطاه وسار على دربه .

وكان من رواد ثورة الإصلاح الدينية داعياً إلى الرجوع إلى مذهب السلف والتحرر الفكري وكان يخالف استاذه ابن تيمية وغيره من ذوي المذاهب متى استبان الحق والدليل » .

ـ **قال الحافظ ابن ناصرِ الدين الشافعي** : « الشيخ الإمام العلّامة ، شمس الدين أحد المحققين ، علم المصنفين ، وقاده المفسرين ، وله التصانيف الأنيقة ، والتآليف التي في علوم الشريعة والحقيقة » .

ـ **وقال الحافظ السيوطي** : « وصار من الأئمة الكبار ، في التفسير والحديث والفروع والأصول والعربية » .

ـ **وقال قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي** : « تلميذه ـ أي ابن تيمية ـ ابن قيّم الجوزية الذي سارت تصانيفه في الآفاق وقال أيضاً : ولو لم يكن له من آثاره إلا ما اتصف به تلميذه ابن قيّم الجوزية

---

(١) الشيخ محمد الزقزاق استاذ الشريعة الإسلامية ووكيل دار العلوم بجامعة القاهرة (سابقاً) انظر المقدمة لكتاب ابن القيّم للدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين .

من العلم لكفى » .

ـ **وقال الشيخ إبراهيم الكوراني الشافعي** : « ثم إن ابن القيّم وإن كان على عقيدة شيخه كما عند المشنعين عليهما ، فتبرئة شيخه ـ عما نسب إليه ـ تبرئه له أيضاً ، وتصحيح اعتقاده وتطبيقه على الكتاب والسنة وعقيدة السلف تصحيح لاعتقاده وتطبيقه » .

ـ **وقال ملّا علي القاري فيه وفي شيخه** : « ومن طالع شرح منازل السائرين تبين له أنهما كانا من أكابر أهل السنة والجماعة ، ومن أولياء هذه الأمة » .

ـ **وقال عنه محمد المقري** : « هو أكبر أصحاب تقي الدين ابن تيمية » .

ـ **وقال صديق حسن خان** : « هو الحبر العظيم الشأن الرفيع المكان» .

ـ **وقال السيد نعمان الألوسي** : « وآخر من سدد هذا المذهب (الحنبلي) ونقّح وهذّب ، آل خدامه وآل تيمية وابن القيّم الجوزية ومن أخذ عنهم في البلاد الشامية » .

ـ **وقال عنه العلّامة الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي** : في ختام كتابه طبقات الحنابلة الموجود بدار الكتب المصرية ، قال رحمه الله :

ـ **قال عنه الذهبي في المختصر** : « عني بالحديث ومتونه ورجاله ، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره ، وفي النحو ويدريه ، وفي الأصلين ، قد حبس مدة لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل ، وتصدّر للاشتغال ونشر العلم » .

ـ **قلت** : « وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والانابة والافتقار

إلى الله تعالى ، والإنكسار والانطراح بين يديه على عتبة عبوديته لم أشهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علماً ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة ، وحقائق إيمان منه وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أر في معناه مثله » .

« زقد امتحن واوذي مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين بن تيمية في المدة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ . وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر . ففتح الله عليه خيراً كثيراً ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والدخول في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه ، ولازمت مجالسة قبل موته ، أزيد من سنة ، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة ، وأشياء من تصانيفه وغيرها » .

« وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه إلى أن مات ، وانتفعوا منه ، وكان الفضلاء يعظمونه ويسلمون له ، كابن عبد الهادي وغيره » .

ـ **وقال القاضي برهان الدين الزرعي عنه** : ما تحت أديم السماء أوسع علما منه ، ودرّس بالصدرية وأم بالجوزية مدة طويلة ، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ، وصنّف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلم ، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء كتبه ، واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره .

ابن القيّم طبيب بارع حاذق

والذين تصدوا لترجمة هذا الإمام العالم لم يتعرضوا لهذه الناحية من حياته العلمية على الإطلاق . رغم أنه بذل جهداً كبيراً في التأليف بين الأحكام الطبية والفقهية والحديثة . وجمع الأدوية والأغذية والمفردات في مكان واحد بترتيب حروف الهجاء ، وعلّق عليها من الناحية الطبية مما يدل على مدى إطلاعه على علوم عصره ، وثقافته الواسعة .

خلاصة كتاب الطب النبوي :

وقد ضمّن فصول كتابه بيان أمراض القلوب ، وأمراض الأبدان وهديه ﷺ في التداوي والأمر به ، وما يجب من الحِمية ثم تفضل الرسول العلاج **بالأدوية المفردة البسيطة** . وانتقل بعد ذلك إلى هديه ﷺ في علاج الحمّى واستطلاق البطن ، والتحرز من الطاعون ، وعلاج الاستشفاء والجرح ، والعلاج بعسل النحل ، والحجامة والكي[1] .

وانتقل بعد ذلك إلى الوقاية من القمل ، وعلاج الصرع وذات الجنب والصداع ، والأورام ، والمفئوود ، وتكلم عن هدى النبي ﷺ في علاج المرضى بألطف ما اعتادوه من الأدوية والأغذية ، وترك ما يكرهونه ، وعلاج الكرب والهمّ والحزن وحفظ الصحة ، وتدبير المسكن والملبس الصحي .

---

(١) كتاب الطب النبوي لابن الجوزية ص ٥٠ ، تحقيق عبد المعطي قلعجي .

ابن القيّم والشعر

شعراء العصر :

ومن أحد شعراء عصر ابن القيّم صاحب كتاب « الوافي بالوفيات » صلاح الدين الصفدي في دمشق ، ومؤلف « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » الشيخ فتح الدين محمد بن محمد ... ابن سيد الناس اليعمري في مصر (٦٧١ هـ - ٧٣٤ م) وكان بينهما مودة ، فكتب الصفدي سنة ٧٢٦ هـ إليه[١] :

كان سمعي في مصر بالشيخ فتح الد　　ين يجنى الآداب وهي طرية
يا لها غُربة بأرض دمشق　　اعوذتني الفواكه الفتحية

ومن شعره أيضاً يرثي ولد الناصر محمد بن قلاون وقد توفي شاباً في العشرين من عمره[٢] :

مضيت وكنت للدنيا جمالا　　وجرعت النجوم الزهر فقدك
ومن عجب الليالي فيك ألا　　يموت أبوك يا أنوك بعدك

ويُعبّر الصلاح الصفدي عن حبه لدمشق في رثائه لتنكز نائب الشام[٣] :

في جنة الدنيا لـه جثة　　وروحه في جنة الآخرة

---

(١) (٢) بدائع الزهور ص ١٤٥ وما بعدها . وفي الدرر الكامنة ٤/٣٣٥ .
(٣) بدائع الزهور ص ١٤٧ .

شعر ابن القيّم :

« فماذا كان من شعر ابن القيّم تعبيراً عن روح العصر ، وأخلاقه؟[1]

وصف اسحق بن راهوية رفيقه في بعض الرحلات أحمد بن حنبل فقال : « كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف ، يقول ما شاء ويمسك ما شاء »[2] . وهو وصف نراه على ابن القيّم ونزيد عليه : يقول ما شاء **نثراً أو شعراً** ، فالفكرة النثرية ـ إن صح التعبير ـ قد ينظمها ابن القيم شعراً إذا كانت مما يتصل بالعواطف الإنسانية ، فيكون اتصالها بالعواطف الخالدة سبباً في رغبة القارىء أن يقرأها مرة واثنتين .. من ذلك الغربة عن الأوطان ، والفكر الديني على أن الدنيا ليست بدار مقام ، وهو ما يراه المتأمل في واقع الأمر[3] لا سيما إذا وقع الوطن في أسار الأعداء .. يقول ابن القيم وقد اجتمعت عليه عناصر الغربة أو مظاهرها وأحس بها إحساساً صادقاً » :

الغربة :

وحى على جنات عدن فإنهـا	منازلك الأولى وفيها المخيـم
ولكننا سبى العدو فهــل ترى	نعود إلى أوطاننا ونسلــم[4]
وأي اغتراب فوق غربتنا التي	لها أضحت الأعداء فينا تحكم ؟
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى	وشطت به أوطانه ليس ينعـم

(١) كتاب ابن القيم من آثاره العلمية أحمد ماهر محمود البقري ص ١٩٥ .

(٢) نقلاً عن : تاريخ المذاهب الفقهية ص ٣١٦ .

(٣) يقول ابن القيم « بل الاسلام الحق ... **هو اليوم** أشد غربة منه في أول ظهوره ، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة ... مدارج السالكين ١٩٨/٣ .

(٤) مدارج السالكين ١٢٢/١ . طريق الهجرتين ص ٥١ .

فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعة من العمر إلا بعدما يتألـم[1]

الصبر :

وفي الصبر على الألم ، والإذعان لمشيئة الله في غير سخط ، يقول ابن القيم وقد أصابته حُمى : أنه تذكر قول شاعر يسبها :

زارت مكفرة الذنوب وودعت « تباً لها » من زائر ومودع
قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد ؟ فقلت « ألا ترجعي »

فنظم ابن القيّم قوله :

زارت مكفرة الذنوب لصبها « أهلاً بها » من زائر ومودع
قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد ؟ فقلت « ألا تقلعي »

إن ابن القيّم لم يسب الحمى ، بل اعتبر نفسه صباً لها « فاقلعت عني سريعاً » ، كما يقول[2] :

الرجاء :

ويقول في الرجاء الذي هو أحد منازل المريدين :

لولا التعلق بالرجاء تقطعت نفس المحب تحسرا وتمزقا
وكذاك لولا برده بحرارة الـ أكباد ذابت بالحجاب تحرقا
أيكون قط حليف حب لا يرى برجائه لحبيبه متعلقا
أم كلما قويت محبته له قوي الرجاء فزاد فيه تشوقا
لولا الرجا يحدو المطى لما سرت بحمولها لديارهم ترجو اللقا[3]

(١) الغربة والاغتراب ص ١٠ . مدارج السالكين ٣/٢٠٠ .
(٢) زاد المعاد ٣/٧٢ وما بعدها ، الطب النبوي ص ٢٣ .
(٣) مدارج السالكين ٢/٤٢ .

المرأة في شعر ابن القيّم :

ويرى ابن القيّم أن الحسن هو ما يستنطق أفواه الناظرين بالتسبيح .

يا صورةَ البــدرِ ولا والــذى ْ صَوَّر ليسَ البـدرُ يَحكيــكِ
مُنّي علي العينِ ولَا تَبخَلــي بنظرةٍ فالعيــنُ تفديــــكِ
وإنْ تحرَّجتِ لهــذا فكــم قد سبــح الرحمنَ رائيــكِ
هذا بهذا فارتَجــى أجَر مــنْ إنْ غِبتِ عنــهُ ظـلَ يَبكيكِ[1]

ويقول في فضول النظر ، وما فيه من سوء الأثر :

يا رامِياً بسهامِ اللَّحظِ مُجتهداً أنتَ القتيلُ بما تَرمي فلا تُصِبِ
تَرجو الشفَاءَ باحداقٍ بها مَرضُ فهل سمعت ببرءٍ جاءَ من عَطبِ[2]

ويقول :

أَلمْ أقلْ لكَ لا تسرِقْ مُلَاحظـةً فَسارقُ اللحظِ لا ينجو مِن الدَّرَكِ
نَصبْتُ طرفي لهُ لما بَــدا شَرَكاً فكانَ قَلبي أولى منه بالشَرَكِ[3]

ويقول :

ما زِلتَ تتبعُ نظرَة في نظـرةٍ في إثر كل مليحةٍ ومليــحِ
وتظنُّ ذاك دواء جرحكَ وهو في التحقيقِ تجريح على تجـــريح
فذبحت طرفك باللحاظ وبالبكا فالقلب منك ذبيح أي ذبيح[4]

ووضح من هذا النموذج الشعري أن كلمة « وهو في التحقيق »

---

(١) روضة المحبين ص ٢٣٧ . بدائع الفوائد ٢/٣٠٦ .
(٢) الجواب الكافي ص ١٣٥ . روضة المحبين ص ٩٧ .
(٣) روضة المحبين ص ١٠١ .
(٤) الجواب الكافي ص ١٣٥ .

تنمّ عن ابن القيم المحقق الدارس وليست عبارة شعرية فيما نرى في هذا الموضع وكذا تكراره كلمة « تجريح » ثم « ذبيح » والطرف لا يذبح غير أن ابن القيّم أراد تقبيح الفعل الذي تفضي إليه النظرة المحرمة .

وهو يصبو إلى الحور العين في جنة الخلد ، فيصوّرهن بما يدل على الرأي الأمثل في المرأة وضاءة وجه وسواد شعر ، واعتدال قوام ...

والشمس تجري في محاسن وجهها   والليل تحت ذوائب الأغصان
فيظل يعجب وهو موضع ذاك من   ليل وشمس كيف يجتمعان
ويقول « سبحان الذي ذا صنعه   سبحان متقن صنعة الإنسان

وسواد العيون ، وبياض الأسنان . وحمرة الخد ... مظاهر جمال في المرأة يُسّجلها ابن القيم في تصوره للحور العين :

حُمر الخدودِ ثغورهن لآلئ   سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها   فيضيء سقف القصر بالجدران[1]

القصيدة النونية :

وقد يختلف الحكم على شاعرية ابن القيّم وهو لم يخلّف لنا دواوين فيما نظمه إلا واحداً بلغت أبياته نحو ستة آلاف بيت ، وصفها أحد المعاصرين لنا بأنها تدل على **عقلية جبارة**[2] ولم **يقل شاعرية خصبة** لأن موضوعها ليس في أغراض الشعر المألوفة ، **الغزل والمديح والوصف**. إنما هو في قضية فكرية أثارها من سموا علماء الكلام ، فهو يرد على المشبهة والمعطله . ويشيد بالتوحيد وأهله ، وأسماها « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » ، وهذا العنوان يذّكرنا برسالة كتبها

(١) روضة المحبين ص ٢٥٥ .

(٢) هو الدكتور عوض الله حجازي في بحثه : ابن القيم ص ٤٨ .

شيخه ابن تيميه نثراً بعنوان « الوصية الكبرى في عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية » فقد وضّح القصد من الفرقة الناجية ، ويبدو لنا أن ابن تيمية نظم في الغرض نفسه أبياتاً ظهرت تفاريق في مناسبات كما يقول ابن تيميه[1] .

إن كان نصباً حب صحب محمد … فليشهد الثقلان أني ناصب[2]

ويقول ابن القيّم : « ... ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل تشنيع المشنعين .. كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله ﷺ لتسمية الروافض لنا نواصب ... »[3] .

وبدأ ابن القيم : القصيدة النونية بهذا البيت .

حكم المحبة ثابت الأركان … ما للصدود بفسخ ذاك يدان

ويقول في وصفه سبحانه :

وهو الجليل فكل أوصاف الجلا … ل له محققة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا … وجمال سائر هذه الأكوان
ومن بعض آثار الجميل فربها … أولى وأجدر عند ذي العرفان[4]

ولنا بين الجليل والجميل وقفة ، فالجليل الحاوي لنعوت الجلال يجل عن أن يحاط به ، فهو العظيم . العزيز ، القهار ... فالتعبد بالجليل يقتضي تعظيمه ، وتسبيحه والخشية منه ، هذا هو الإيحاء

(١) القصيدة النونية ـ مقدمة الناظم ص ١٠ .
(٢) واضح أن ابن تيمية اطلع على بيت الشافعي رضي الله عنه :
إن كان رفضاً حب آل محمد .. فليشهد الثقلان أني رافضي .
(٣) القصيدة النونية ـ مقدمة الناظم ، مدارج السالكين ٨٨/٢ .
(٤) شرح القصيدة النونية ص ٤٥٤ وما بعدها .

الأول لكلمة « الجليل » ، ثم تأتي « وهو الجميل » وهو مقتضى الحب ، وجمال سائر هذه الألوان . لفتة النظر في الكون جميعاً لنرى خالقه ومدبره يقول **ابن الأثير** : الجليل راجع إلى كمال الصفات ، والكبير راجع إلى كمال الذات ، والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات[١] .

ويقول[٢] :

وهو العزيز فلن يرام جنابه أنّى يرام جناب ذى السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم يغلبه شيء هذه صفتان

تأمل الغرض التعليمي في « هذه صفتان » فهو يأخذ القاريء رويداً رويداً أو يعطيه واحدة واحدة مما يريد أن يشرح من كلمة **العزيز** :

وهو العزيز بقوة هي وصفه فالعز حينئذ ثلاث معان[٣]

فيقال : عزَ يَعزُ ـ بكسر العين ـ عزة وعزا أي يمتنع على من يرومه من عدو فلا يصل إليه ضره[٤] ، فهذا هو المعنى **الأول** . أما الثاني فمضارعه يعز بضم العين ، ومنه « من عزيز » من عزه على أمره إذا غلبه[٥] . والأخير يفتح العين من مضارعه بمعنى القوة والصلابة

---

(١) النهاية ١/٢٨٠ .
(٢) شرح القصيدة النونية ص ٤٦٢ .
(٣) انظر ايضاً : مدارج السالكين ٣/١٥٧ .
(٤) كما في الحديث القدسي: « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني » .
(٥) أساس البلاغة : ع ز ز .

ومنه أرض عزاز[1] ، بالفتح .

ويعيب على أقوام تلاعبوا بالسنة فيقول[2] :

خسفت قلوبكم كما خسفت عقو ... لكم فلا تزكو على القرآن
.. مثل الخفافيش التي إن جاءها ... ضوء النهار ففي كوى الحيطان
.. فترى الموحد حين يسمع قولهم ... ويراهم في محنة وهوان
وراحمتاه لعينه ولأذنه ... يا محنة العينين والأذنان

وتذكرنا « خسفت عقولكم » بالمثل الذي ذكره ابن القيم **للمعطلة والمشبهة** مقارناً إياهم **بالموحدين** قال : « والمشبه قد خسف بعقله ، فهو يتجلجل في أرض التشبيه إلى الموت ، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً إلى الحي الذي لا يموت »[3] .

ويقول : في سماع أهل الجنة موازناً بينه وبين غناء رخيص في الدنيا[4] :

وأهاً لذياك السماع فكم به ... للقلب من طرب ومن اشجان
واهاً لذياك السماع ولم أقل ... « ذياك » تصغيراً له بلسان
ما ظن سامعه بصوت أطيب ألّا ... **صوات** من حور الجنان حسان
نحن النواعم والخوالد خيرا ... ت كاملات الحسن والإحسان
.. طوبى لمن كنا له وكذاك ... طوبى للذي هو حظنا لفظان

---

(١) العزاز من الأرض : الطين الصلب الذي لا يبلغ أن يكون حجارة .. جمهرة اللغة ١/٩٠ .
(٢) شرح القصيدة النونية ص ٦٣٥ .
(٣) شرح القصيدة النونية ص ١٣ .
(٤) شرح القصيدة النونية ص ٧٢٩ .

في ذاك آثار روين وذكرهــا   في الترمذي ومعجـــم الطبراني
ورواه يحيــى شيـخ الأوزاعي   تفسيراً للفظة « يحبرون » آغان

وإذا كانت هذه المقطعة تبدأ بكلمة شاعرية « واها لذياك السماع » يكررها فيزداد وقعها على النفس جمالاً ، إلا أنه ختمها بذكر مراجعه العلمية في وصف الحور العين وغنائهن ، وتفسير يحيى بن أبي كثير للفظة « يحبرون » في قوله تعالى :﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾[1] قال : الحبرة السماع في الجنة[2] : وقد خصص شيخ الأوزاعي ، والذي تراه التعميم ، فالحبرة ـ بالفتح ـ النعمة وسعة العيش وكذلك الحبور[3] .

ثم يقول واعظاً :

نزه سماعك إن أردت سمـــاع   ذياك الغنـا عن هذه الألحان[4]
.. فالقلب بيت الرب جل جلاله[5]   حباً وإخلاصـاً مـع الاحسان
فإذا تعلـق بالسماع أصـاره   عبداً لكل فلانـــة وفـلان
حب الكتـاب وحب الحان الغنا   في قلب عبد ليس يجتمعـان
ثقـل الكتـاب عليهم لمـا رأوا   تقييده بشرائع الإيمـــان
واللهـو خف عليهم لما رأوا ما   فيه من طرب ومن الحـان
ولذا تراه حظ ذي النقصان كا   لجهال والصبيان والنســوان

(١) الروم ١٥ .
(٢) شرح القصيدة النونية ص ٧٣٠ .
(٣) النهاية ١/٣٢٧ .
(٤) يقصد الألحان الدنيوية الهابطة « مثل السم في الأبدان » .
(٥) ونرى إن هذا الشطر تعبير صادق عن نزعة التدين في قلب ابن القيم ، الذي استقر فيه حب الله والإخلاص له سبحانه .

وينظم ابن القيم في رؤية أهل الجنة لله ونظرهم إلى وجهه الكريم[1] :

ولقاؤه إذ ذاك رؤيتـــــهحكـــى	الإجماع فيــــه جماعة ببيــان
وعليه أصحاب الحديث جميعهــم	لغة وعرفاً ليس يختلفــــــان
.. وأعاد أيضاً وصفهــــا نظر وذا	لا شك يفهم رؤيــــــة بعيــان
وأنت اداة « إلى » لرفع الوهم من	فكر كذا ترقـــب الإنســان
وإضافة لمحل رؤيتهــــم بذكــر	الوجه إذ قامت به العينــان
.. لا تفسدوا لفظ الكتاب فلـــــ	يس فيه حيلة يا فرقة الروغان
.. ولقد أتى في سورة التطفيـــف أ	ن القوم قد حجبــوا عن الرحمن
فيدل بالمفهوم أن المؤمنيـــــــن	يرونه في جنــــة الحيــوان
وبذا استـــدل الشافعي وأحمــــد	وسواهما من عالمـــي الأزمان

ويقول في العمل الذي يدخل الجنة ، كسبب ليس مستقلاً عن رحمة الله[2] :

أرأيت إن عطلت أرضك من غـرا	س ما الذي تجني من البستان ؟
.. وتأمل « الباء » التي قد عينـــت	سبب الفلاح لحكمــة الفرقان
وأظن باء النفي قد غرتـــــــك	في ذاك الحديث أتى به الشيخان
لن يدخل الجنات أصلاً كـــادح	بالسعي منه ولو على الأجفـان
والله ما بين النصوص تعــــارض	والكـــل مصدرهـــا عن الرحمن

لكن « با » الاثبات للتسبيب والباء التي للنفي بالأثمان .

وقد ختم ابن القيم قصيدته بالدعاء أن يغفر الله لأهل السنة ويثبتهم

---

(١) شرح القصيدة النونية ص ٧٦٥ ، ٧٦٨ وما بعدها .

(٢) شرح القصيدة النونية ص ٧٩٠ وما بعدها .

على الإيمان[1] .

وانصر على حزب النفاة عساكر الـ   إثبات أهل الحق والعرفـان

وتأمل استعمال كلمة «عساكر الإثبات» وهو ما يتسق مع عنوان كتابه «اجتماع الجيوش» .. ، وهكذا كان شعر ابن القيم ونثره من ينبوع واحد في صفائه وسلامته ، ولا يكاد يفلت بيت من قصيدته النونية من ذهن القاريء .. حتى يجد نظيره في مؤلفات ابن القيم ، فكرة أو عباره يرددها هي نفسها ، لا يتبع الهوى فتتناقض أفكاره ، وتتباين مشاعره ، أو يخفت صوت الحق عنده وقد ارتفع من قبل ، هو الجندي المدافع اليقظ دائماً ، وإذا كان اللغويون والفقهاء عامة لا يجيدون نظم الشعر فحسبنا أن بذرة الشعر في ابن القيم إعانته على اسلوب سلس ، لا التواء فيه[2] .

---

(١) شرح القصيدة النونية ص ٨١٥ .

(٢) للاستزادة راجع كتاب ابن القيم في آثاره العلمية ـ أحمد ماهر محمود البقري ص ٢٠٩ مؤسسة كتاب الجامعة الاسكندرية .

ـ وكتاب الطب النبوي لابن القيم الجوزية / تحقيق عبد المعطي قلعجي (المقدمة) . القاهرة .

ـ وكتاب حول ابن القيم الجوزية لمحمد مسلم الغنيمي ، ص ١٨٨ / المكتب الإسلامي .

ـ وكتاب ابن القيّم عصره ومنهجه ، للدكتور عبد العظيم عبد السلام (المقدمة) .

اسلوبه في الكتابة

شواهده الشعرية :

إذا كان الأسلوب هو الرجل . وقد عرفنا ابن القيم شاعراً فأن من أبرز ما يسترعي انتباهنا استشهاده بالشعر له أو لغيره .

فمن شعره وهو بصدد الحديث عن الأسماء الحسنى تطلق على من ليس له من اسمه نصيب :

وسميته صالحـــاً فأغتـــــــــدى   بقصد اسمــه في الورى سائـراً
وظـــن بأن اسمـــه سائـــــــراً   لأوصافه فغـــدا شاعـــراً[1]

وتعرض ابن القيم للقسم في قوله تعالى﴿ لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾[2] فيقول : ما أقسم الله بحياة نبي غير رسول الله - ﷺ - ثم يُعرّج ابن القيم إلى وصف الجنسية المثلية في قوم لوط « بالسكرة » بأن سكرة العشق مثل سكرة الخمر **كما قال القائل** :[3]

سكران : سكر هوى ، وسكرمدامة   ومتى إفاقة من به سكـــران ؟ !

---

(١) زاد المعاد ٧/٢ .

(٢) سورة الحجر الآية ٧٢ .

(٣) التبيان في أقسام القرآن ص ٢٧٢ . مدارج السالكين ٣٠٨/٣ .

ويذكر في فوائد الصلاة على النبي – ﷺ – أنها سبب لدوام محبته فكلما أكثر الإنسان من ذكر المحبوب تضاعف حبه له ، فلا أقر لعين المحب من رؤية محبوبه ، ولا أثر لقلبه من ذكره فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه ، والحس شاهد بذلك حتى قال الشعراء بذلك . ويسرد ابن القيم شواهد شعرية[1] نقتطف منها :

عجبت لمن يقول ذكرت حبي   وهل أنسى فاذكر من نسيت ؟[2]

وذلك غير استشهاده بالشعر في الأغراض اللغوية في شرح كلمة كما تفعل المعاجم أو الموضوعات البلاغية كما نقل قول أهل اللغة في أن **الوتين** : نياط القلب[3] عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع بطلت القوى ، ومات صاحبه[4] وانشدوا للشماخ[5] :

إذا بلغتني وحملت رحلي   عرابة فاشرقي بدم الوتين

التكرار :

وينقل ابن القيم نماذج شعرية لما رآه قبيحاً في باب التكرار[6] قول مروان :

---

(١) جلاء الأفهام ص ٢٦٥ .

(٢) فالشاعر يتشكك – فيما نرى – فيمن يقول « ذكرت حبي » أن يكون حبه صادقاً أو عميقاً .. أو يكون محباً ..

(٣) لسان العرب ٣٣٢/١٧ ، أساس البلاغة : وت ن ، جمهرة اللغة ٣٠/٢ ، القاموس المحيط ٢٧٤/٤ .

(٤) مختار الصحاح : وت ن .

(٥) التبيان ص ٢٤٤ ولم أجد هذا البيت في المعاجم السالفة .

(٦) الفوائد المشوق ص ١١ ، ما بعدها .

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأي والبعد
نظرت إلى نجد وبغداد دونها لعلى أرى نجداً، وهيهات من نجد

ولا أراه قبيحاً فتكرار لفظ «نجد» في هذا المقام تلذذ بذكره كلما ذكر لا سيما أن الشاعر في كل تكرار أورد معنى جديداً.

وكذلك يرى ابن القيم أن التكرار قبيح في قول أبي نواس:

اقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحل خامس

وترى أنه يعدد أيام البقاء بها في وقفات موسيقية كأنما يستمتع في كل وقفة بما جرى في كل يوم وهكذا نحس خلجات نفسية في شطري البيت.

التضمين والاقتباس عند ابن القيم:

الاقتباس أو **التضمين** هو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي أتى به ... فأن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين، وإن كان قليلاً أو نصف بيت فهو إبداع.

وعلى هذا الحد ليس في القرآن من هذا النوع شيء إلا ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى: حكاية عن قول الملائكة: ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ ومثل ما حكاه ـ سبحانه ـ من قول المنافقين: ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ ومثله في القرآن كثير.

وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأجنبية كما في قوله تعالى:

﴿أنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم﴾ وهي لغة للحطب

بالحبشية وكالقسطاس وهو الميزان باللغة الرومية[1] .

ويرى ابن القيم أن تضمين القصيد آيات القرآن معيب كقول الشاعر .

قمت ليل الصدود «إلا قليـــلا» ثم رتلت ذكرهم «ترتيـــلا»
وجعلت السهاد كحــلا لعينـــي وهجرت الرقاد «هجـراً جميلاً»
كلما ضمنا محل عتــــــاب أخذتنا العيون «أخذاً وبيلا»

ضمّن هذه القصيدة آخر كل آية من «المزمل» ، يقول ابن القيم : وهو مما ينبغي أن تعاف النفوس سماعه ، وهو متدرج في التحريم لما فيه من عدم الإجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم[2] .

ونرى أن رأي ابن القيم ليس على اطلاقه ، فنحن نضمن إذاً استحسناً الكلام وليس أجل من القرآن نقبس منه على أن يكون التضمين لائقاً ، وهو غير لائق في بيت الشاعر مثلاً «أخذتنا العيون أخذاً وبيلا» .

فالتعبير مستعمل في القرآن «فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذاً وبيلاً»[3] فأين هذا المعنى القوي الذي يحتاج إلى اسلوب في مثل قوته من حديث عتاب بين محبين .

ولعل ابن القيم أدرك حدة ما ذهب إليه من رأى فذكر أن بعض أهل العلم رخصّ في تضمين بعض آيات القرآن في خطبهم ومواعظهم

---

(١) الفوائد المشوق ص ١١٧ وما بعدها .
(٢) الفوائد المشوق ص ١٢٠ .
(٣) سورة المزمل الآية : ١٦ .

كابن نباته ، وابن الجوزي[1] دون أن يُعقّب بما يفيد استياءه من طريقتهم[2] .

والأمر عندنا أنه إذا كان يجوز أن يقتبس المعنى ـ كما فعل ابن القيم في ميله إلى السجع .

ويميل ابن القيم أحياناً إلى السجع في غير تكلف ، وإنما **تحس** فيه **العذوبة والسهولة** ، وتحسب أن كثرة قراءاته القرآنية ، وميله الشعري ساعده على ذلك .

من ذلك قوله في ثمرة العقل : « ... وفتق المعاني ، وأدراك الغوامض .. ، وشد أزر العزم فاستوى على سوقه ، وقوي أزر الحزم حتى حظي من الله بتوفيقه »[3] ...

فواضح أنه أفاد من الآية الكريمة ﴿ كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ﴾[4] ...

ـ حسن التصوير :

ولابن القيم **تعبيرات** خاصة ، ربما دار استعمالها في **عصره** ، ولكنها بالقطع **تمثل شخصيته** ، وقد راق لي أن أجمع بعض ما ذكر ابن القيم في تصويره لعقول العصر عاش بين **ظهرانيه** :

---

(١) الفوائد المشوق ص ١٢١ .
(٢) سبق لنا حديث عن تأثر شعر أبي تمام بالقرآن في كتابنا « الأدب في حماسة أبي تمام » ص ٦١ ـ ط . الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م .
(٣) روضة المحبين ص ٧ .
(٤) الفتح ٢٩ والآية في وصف محمد ـ ﷺ ـ وصحبه في الانجيل . الشطأ ؛ فروع الزرع وسنابله ، ولم ترد الكلمة في غير هذه الآية من القرآن .

فهو يقول مثلاً « العقل المعيشي »[1] أي الذي يحرّك الإنسان في حياته لمجاملة الناس أو نفاقهم وحسب ، وليس العقل الذي يفكر في موضوعية وصاحبه على سلامة المعتقد. فعنده أن « خاصة العقل النظر في العواقب والغايات »[2] .

« والناس كلهم صبيان العقول[3] إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء ، وأدرك الحق علماً وعملاً ومعرفة »[4] و« الباطل الذي تتخيله خفافيش العقول »[5] أو« خفافيش البصائر »[6] ، وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به محمداً ـ ﷺ ـ « من النور جد في الهرب منه »[7] .

ومرجع جودة هذا التعبير أن الخفاش سريع التلف ، شديد الطيران ، ويوصف بالحمق[8] ، كما أنه غير قوي البصر ولا يبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار[9] . وتكرار هذا التعبير عند ابن القيم[10] يدل على مدى ضيقه بخصوم الدين والعقل ، ذلك أن الدين الإسلامي لا يتنافى والعقل فيقول أيضاً : « ... جئتم بالعظيمة في العقل والدين ،

---

(١) الروح ص ٢٢٩ ، إغاثة اللهفان / مدارج السالكين ٣٤٦/١ .
(٢) شفاء العليل ص ٣٤٥ ، مدارج السالكين ١٦٦/٢ .
(٣) و(٤) الروح ص ٢٢٩ ، اجتماع الجيوش ص ١٩ .
(٥) شفاء العليل ص ١٥٧ .
(٦) اجتماع الجيوش ص ٢٢ .
(٧) اجتماع الجيوش ص ١٢ .
(٨) و(٩) حياة الحيوان الكبرى ٥٢٠/١ . ٨١٨هـ ـ كمال الدين محمد بن موسى الدميري ط التحرير ١٩٥٥ م .
(١٠) رأيناه فيما سقناه من شعره من القصيدة النونية في دراستنا هذه ص ٢٠٧ .

وانسلختم من عقولكم وأذهانكم »[1] ، ويقول عن الذين يرون أن ابليس وإن عصى الأمر لكنه أطاع إرادة الله هذا « انسلاخ من ربقة العقل والدين »[2] .

ويقول : « ومن زعم أن الفعل كان ممتنعاً عليه سبحانه في مدد غير مقدرة لا نهاية لها ، ولا يقدر أن يفعل ثم انقلب الفعل من الإستحالة الذاتية إلى الامكان الذاتي من غير حدوث سبب ، ولا تغير في الفاعل فقد نادى على عقله بين الأنام »[3] ، وعنده أن الذي يساوي بين الرب والعبد وبين القديم والمحدث يدل على « خيال فاسد وعقل منكوس »[4] .

ومن تعبيراته قوله عن اليهود أنهم « أمة غضبية »[5] وربما استقى هذه الصفة من قوله تعالى : ﴿ .. فباءوا بغضب على غضب ﴾[6] فالغضب الأول بسبب كفرهم بالمسيح ، والثاني بسبب كفرهم بمحمد[7] عليهما السلام .

ويقول في مظهر اجتماعي فاسد : « ونطفة اللوطي مسمومة ، تسري في الروح والقلب فتفسدهما فساداً عظيماً قل أن يرجى معه

---

(١) شفاء العليل ص ٢١٨ .
(٢) طريق الهجرتين ص ٣٠٤ .
(٣) شفاء العليل ص ١٥ .
(٤) طريق الهجرتين ص ٣٤٨ .
(٥) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/٢٩٤ ، ٣١٩ ، ٣٤٠ .
(٦) سورة البقرة الآية ٩٠ ، ويراجع قوله فيهم أيضاً في : مدارج السالكين ١/١١ .
(٧) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/٣١٥ ، بدائع الفوائد ٢/٣٢ .

صلاح »[1] . فقوله : مسمومة في وصف نطفة اللوطي تعبير لا يدانيه تعبير في التنفير من الوقاع المثلي ، وهو يمثل مدى استهجانه عقلياً ونفسياً للسلوك الشائن ، وقد رتب عليه بعض الفقهاء حد القتل ، فتختلف معهم أو تتفق ، ولكن ابن القيم بهذا الوصف يجعل القاريء يستريح لهذا الحكم بعد أن اقتنع معه بشناعة الجرم .. فماذا يبقى للانسان بعد الروح والقلب ؟ ..

غير أن الذي نأخذه على التعبير كلمة « اللوطي » لقد شاع اللفظ نسبة إلى قوم لوط ، ولكن لوطاً استهجن فلماذا تلحق ياء النسب باسمه الشريف ؟ وتأمل المعنى اللغوي في الحديث « الولد ألوط » أي الصق بالقلب[2] .

ـ ضرب الأمثال :

وهو ضرب سام من فصيح الكلام جرى عليه القرآن الكريم لتأكيد معنى أو بيان غاية . وابن القيم لايني يضرب الأمثال للفهم عنه ، يقول الله : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون﴾[3] وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ مثلاً لم يفهمه ويقول : « لست من العالمين » . ولقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً فيما ذكر ابن القيم[4] .

ومن تشبيهات ابن القيم الموفقة قوله : أن دقيق العلم ينبغي أن

---

(١) الطرق الحكمية ص ٥٥ .

(٢) أساس البلاغة ل وط ، النهاية ٤/٢٧٧ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

(٤) شرح القصيدة النونية ـ مقدمة ص ١٢ .

يغار عليه فلا يبتذل لمن لا يعرف قدره أو لا يفهمه ، كما لا ينبغي أن تزف الحسناء إلى ضرير [1] ويقول : أن الرقية براقيها وقبول المحل كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع [2] .

ـ الاستطراد :

وهو أن يمسك الباحث عن **الاسترسال** في صلب الموضوع الذي يتناوله إلى موضوعات أخرى ثم يعود إلى موضوعه . ولا شك أن الموضوعات التي تتفرع من موضوعه الذي حدده أصلاً تمت بصلة إليه **قريبة** أو **بعيدة** ولكن **الاسترسال** في هذه الموضوعات **طويلاً** قد ينسي القارئ أصل **الموضوع** الذي بدأ به **الباحث** . **متحدثاً** أو **كاتباً** على أنه قد يكون من شأنه تبديد **الملل** من **جفاف** المادة في الموضوع **الأصلي** .

وقد يكون وراء الاستطراد تشتت الفكر من الباحث الذي ينقله إلى القاريء أو السامع ، وقد يكون دليلاً على عزارة العلم ، وتسابق المعلومات على القلم بحيث تلّح كل معلومة على الكاتب أن يسجلها قبل اختها .

ولقد كان ابن القيم منّظم الفكر فهو عادة يسوق **الحجج بأمانه** ، وقد تستغرق الصفحات ، ثم يتول الرد عليها **مؤيداً** أو **مفنداً** واحدة واحدة في **رويه وهدوء** ، فلم يبق اذن ألا أن يكون الاستطراد منه نتيجة لغزارة العلم كالذي تجده منه في تفسيره للآية قال : ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [3] .

---

(١) روضة المحبين ص ٣٠٦ .

(٢) مدارج السالكين ١/٥٧ .

(٣) سورة طه الآية ٥٠ .

يقول ابن القيم : اعطاء الخلق إيجاده في الخارج ، والهداية : التعليم والدلالة على سبيل بقائه . وما ذكره بعضهم أنه هداية الذكر لإتيان الأنثى[1] تمثيل وهو فرد واحد من أفراد الهداية التي لا يحصيها إلا الله[2] .

فالهدى في الآية معناه العام وهو **هداية** كل نفس إلى مصالح معاشها ، وهذا أفضل من قول **الفرّاء** ـ إذا كان ما نسب إليه صحيحاً ـ إن **التقدير** : **فهدى** وأضل فاكتفى من ذكر أحدهما بالآخر[3] .

ولكن ابن القيم أخذ يحدثنا الصفحات العديدة عن النحل وبناء بيوتها مسدسة متساوية الاضلاع كأنها **قرأت كتاب اقليدس** ، والنمل ، والهدهد ، والحمام . والديك والذئب والثعلب والقرد[4] :

ـ الفكاهة والسخرية في اسلوبه :

ولا **يخلو** ما يكتبه ابن القيم من **فكاهة** توضح **الصورة** في **الأذهان** في **رصانة أسلوب** ، وقوة منطق وجدية في البحث . فهو يقول عن جماعة اشتهرت بالاختلاف فيما بينهم : « لو اجتمع عشرة .. يتكلمون في حقيقة ما هم عليه لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً »[5] .

ويقول : **أنه كان بالاسكندرية** صنم وكان جميع من بمصر يعبدونه ،

---

(١) معاني القرآن ٢/١٨١ .

(٢) عند النسفي : أعطي كل شيء شكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الأبصار .. مدارك التنزيل ٣/٤٣ .

(٣) يعقب ابن القيم قائلاً أنه « أضعف الأقوال » . شفاء العليل ص ٦٦ .

(٤) شفاء العليل من ص ٦٦ إلى ص ٧٨ .

(٥) إغاثة اللهفان ٢/٢١٦ .

ويذبحون له الذبائح غير أن أحد البطاركة احتال عليهم وقال : إن هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فلو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملك الله .. فأجابوه إلى ذلك .. ويُعقَبْ ابن القيم على القصة بقوله : « فكانوا في ذلك كمجوسي أسلم ، فصار رافضياً فدخل الناس عليه يهنئونه ، فدخل عليه رجل وقال : إنك إنما انتقلت من زاوية من النار إلى زاوية أخرى»[1] .

فهو ينتزع من القاريء الضحك في شعور بالمرارة والألم لبعض المفارقات ، وينبيء في الوقت نفسه عن إتجاهه الفكري الواضح ، ومنزعه النفسي الطيب ، ويشير إلى حقائق نفسية أو ظواهر إجتماعية في البشر منذ الخليفة ، ففي عصرنا نستعمل عبارة « إتفقوا على ألا يتفقوا ، سخرية ممن يكون الاختلاف سبيلهم دائماً[2] .

---

(١) اغاثة اللهفان ٢٩١/٢ .

(٢) مقتبس بتصرف من ص ١٩٥ـ٢١٤ كتاب ابن القيم من آثاره العلمية لأحمد البقري .

البابُ الرّابع

الأمثال
في القرآن الكريم

لابن قيّم الجوزيّة رحمه الله

٦٩١ - ٧٥١ هـ

وعفى عنه وعن جميع المسلمين

آمين

مِنْ فضْلِهِ سُبحانهُ وتعالى
عَلى عَبدهِ نعْمان بنْ السيّد
محمود أفندي المُفتي ببغداد
غفر الله لهُ

سنة ١٢٩٩ هجريّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية محمد وآله وصحبه أجمعين[١] .

يقول شيخنا[٢] رحمه الله ، وقع في القرآن[٣] أمثال[٤] وأن أمثال[٥] القرآن لا يعقلها إلّا العالمون[٦] وأنها شبيهة[٧] شيء بشيء

(١) مالك هذه المخطوطة هو مفتي بغداد الشيخ نعمان بن السيد محمود أفندي سنة ١٢٩٩ هـ وهي اليوم في مكتبة الأوقاف الإسلامية ببغداد تحت رقم (٦٦٨٥) .

(٢) ابن القيّم الجوزية .

(٣) يقول شيخنا رحمه الله : هذه ليست عبارة المؤلف . وإنما هي من كلام أحد تلامذته كما هو ظاهر .

(٤) م ث ل : (المثل بالكسر والتحريك وكأمير : الشبه ج أمثال والمثل ـ محركه : الحجة والحديث وقد مثّل به تمثيلاً وامتثله وتمثّله وبه والقنعة . ومنه « مثل الجنة التي ... » ومثّله له تمثيلاً صوّره له حتى كأنه ينظر إليه . ترتيب القاموس المحيط للاستاذ الطاهر أحمد الزاوي/ دار المعرفة جزء (٤) ص ٢٠٣ .

(٥) في [ب] : بدأ : فصل ومن هذا ما وقع في القرآن من أمثال .

(٦) قوله : لا يعقلها إلا العالمون . فيه حثّ لطلاب العلم على معرفة أمثال القرآن وتعلمها . وتعريض لمن لا يعلم أمثال القرآن . أن يكون من الجاهلين وقد ذكر ابن القيم في بعض كتبه أن أحد المشايخ أُبهم عليه أحد الأمثال أمثال القرآن الكريم ، فبكى وقال : ويحي أنني من الجاهلين .

(٧) [ت] و[ب] فأنها تشبيه . وهذه الجملة لتعريف المثل .

في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى في حق المنافقين[1] ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾[2] ﴿ صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون﴾[3] ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾[4] إلى قوله : ﴿ إن الله على كل شيء قدير﴾[5] . فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين

---

(١) قوله : كقوله : بعد أن أشار إلى تعريف المثل ، حيث بدأ بالمقصود بذكر الآيات التي فيها المثل ، على ترتيب نظم السور الكريمة . والآيات التي بدأ بها هي من سورة البقرة من ١٧/٢٠ وكلها آيات مدنية .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦ م ٣ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٧ م ٣ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١٨ م ٣ .

(٥) سورة البقرة الآية : ١٩ م ٣ .

ملاحظة :

- كل آية ذكر فيها المنافقون فهي مدنية ـ إذ لم يعرف النفاق في مكة وكل آية فيها نداء لأهل الكتاب فهي أيضاً مدنية .
- كتبت هذه المخطوطة (الأمثال في القرآن الكريم بخط ، الفقير إليه تعالى علي بن زيد آل بلّيس غفر الله له ولجميع المسلمين ، وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة يوم الأربعاء ، أحد شهور سنة ستة وسبعين بعد المئتين والألف من هجرته عليه أفضل الصلاة والسلام) .

مثلاً نارياً[1] ومثلاً مائياً[2] لما في الماء والنار[3] من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور ، والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي[4] الذي أنزل من السماء متضمنة[5] لحياة القلوب واستنارتها ولهذا أسماه روحاً[6] ونوراً[7] وجعل

---

(١) الزيادة من [ت] و[ب] و[ث] .

(٢) قوله : مثلاً مائياً لما في الماء ..... إشارة إلى الآية الكريمة :
ـ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وأنك تهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الـذي له ما في السمـوات وما في الأرض ، إلا إلى الله تصير الأمور﴾ (٥٢/٥٣/ من سورة الشورى وهي مكية) .

(٣) [ت] : لما في النار والماء .

(٤) وح ى (الوحي) الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما القيته ، إلى غيرك والصوت يكون بين الناس وغيرهم كالوحي والوحاة ج : وحي وأوحى إليه بعثه وابتعثه (ترتيب القاموس المحيط للاستاذ الطاهر أحمد الزاوي ، دار المعرفة ص ٥٨٥ ، الجزء الرابع) .

(٥) والصواب : متضمناً .

(٦) والمراد من الروح : القرآن . به تحيا القلوب (ولكن جعلناه) الروح أو الكتاب (نوراً ...) انظر الجلالين ص ٦٤٦ .
ـ وقوله : نورا / إشارة إلى الآية الكريمة :﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله إلى صراط مستقيم﴾ . المائدة الآية ١٨/١٦ جزء (٦) رقم السورة ٥ .

قابلية الحياة في النور ، ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً في الظلمات وأخبر عن المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي[1] ، إنهم بمنزله من استوقد ناراً لتضيء له وينتفع بها ، وهذا لأنهم دخلوا الاسلام فاستضاؤا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين ، ولكن لما لم يكن (لصحبتهم)[2] مادة من قلوبهم[3] من نور

= ـ والظاهر أن المراد من النور هو : الوحي القرآني ، بدليل العطف عليه (وكتاب مبين) إلّا أن بعضهم فسّر النور ، بمحمد ﷺ (انظر الجلالين ص ١٤٤) .

(٧) انظر سورة الشورى الآية : ٥٢ .

(١) وقوله بالنسبة إلى حظهم من الوحي ...

ـ والآيات التي تشير إلى الوحي بالنور كثيرة جداً منها قوله تعالى :

ـ ﴿إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ سورة المائدة الآية : ٤٤ .

ـ ﴿وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور﴾ سورة المائدة الآية : ٤٦ .

ـ ﴿فالذين أمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ سورة الأعراف الآية : ٧ .

ـ فقد وصف سبحانه وتعالى كل من التوراة والإنجيل والقرآن بالنور والآيات المذكورة كلها مدنية .

ـ وقوله مثلاً مائياً : الظاهر أن هناك عبارة محذوفة .... (ومثلاً نارياً) بدليل سياق الكلام ، وكذلك الآيات فقوله تعالى : ﴿كمثل الذي استوقد ناراً﴾. هذا المثل الناري وقوله تعالى﴿أو كصيّب من السماء﴾، هذا المثل المائي .

(٢) [ب] ولكن لما لم تستصحبهم .

(٣) وقوله : (مادة في قلوبهم) ... بيان لسبب ضرب المثل الناري وبيان لسبب ضرب المثل المائي فالنار لما فيها من الإضاءة الخ .... والماء مادة الحياة ،=

الإسلام ، طغى[1] عليهم وذهب (لصحبتهم) . الله بنورهم ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق ، فذهب الله بما فيها من الإضاءة ، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون . فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه ، فهو لا يرجع إليه ، ولهذا قال[2] : ﴿ فهم لا يرجعون﴾ .

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي ، فشبههم بأصحاب صيّب ، وهو المطر الذي يصوب[3] إن ينزل من السماء[4] ، فيه

= فالكلام على سبيل اللطف والنشر المشوش .

ـ وقوله : متضمنة .... الخ .... أتت الصفة مراعاة لقوله (الحياة) المؤنث .

ـ وقوله : مادة أي **الحقيقة** . يقال مادة الشيء حقيقته لصحة إيمانهم وحقيقته .

(١) ط غ ى : (طغى) كرضي طغياء وطغيانا بالضم والكسر جاوز القدر وارتفع وعلا في الكر وأسرف في المعاصي والظلم ... ترتيب القاموس ، نفس المصدر ص ٨١ جزء (٢) .

(٢) [ب] : قال فيهم .

(٣) ـ قوله صب الماء ، يعني اراقته ، من أعلى ، يقال صبّه فانصبّ وصببته فتصبّب قال تعالى : ﴿ أنا صببنا الماء صبّا﴾ ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ ﴿ يصبّ من فوق رؤسهم الحميم﴾ . والصيّب المصبوب من المطر ومن عصارة الشيء اه / ص ٢٧٣ / من مفردات الراغب .

ـ وقوله : ﴿ أو كصيّب﴾ قبل هو سحاب وقيل هو المطر وتسميته به كتسميته بالسحاب اه ص ٢٨٨ من المفردات .

(٤) والصواب : أي .

ظلمات ورعد وبرق ، فلضعف[1] بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق ، فلضعفه[2] وخوفه[3] جعل اصبعيه في اذنيه وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه وقد شاهدنا[4] نحن وغيرنا كثيراً من مخانيث[5] تلاميذ الجهمية[6] المبتدعة[7] إذا سمعوا شيئاً

---

(١) قوله : فلضعف بصائرهم الخ .... أي المنافقين .

(٢) قوله : فلضعفه / الضمير يعود إلى (من) أي فلضعف ذلك الشخص الذي أصابه مطر الخ ...

(٣) [ب] : وخوره .

(٤) قوله وقد شاهدنا .. الخ ... استطراد بيّن فيه أنه شاهد مثل حالة هؤلاء المنافقين . متمثلة بمخانيث تلامذة الجهمية .

(٥) قوله : مخانيث ، مفرده : مخنّث قال في مختار الصحاح (خنثّه تخنيثا فتخنّث) . اعطفه فتعطف اهـ ص ١٩٠ .
ـ ومراده من قوله هذا : الطعن عليهم بما لا يليق من خلق الرجال .
ـ وقوله : (على قلوبهم وعقولهم) العبارة قلقة غير واضحة والظاهر أن هناك كلاماً محذوفاً قد سقط عند النسخ .

(٦) وقوله (الجهمية) نسبة إلى الجهم بن صفوان . وهو رأس جماعة تقول بنفي الصفات عن الله تعالى . وقد غالوا كثيراً حتى أنهم نفوا الأسماء الحسنى عن الله تعالى والكلام عليهم يطول . انظر كتاب مقالات الاسلاميين للإمام الأشعري ١/٢٨٠ .
ـ وللإمام ابن القيم الجوزية كتاب في الرد عليهم ، اسمه الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة رقم (١٧) ومن مؤلفاته : الصواعق المرسلة =

من آيات الصفات ، وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم [1] رأيتهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسوره[2] ، ويقول ويقول مخنثهم سدّوا عنا هذا الباب واقرأوا شيئاً غير هذا وترى قلوبهم مولّية وهم محجوبوا العقل عن معرفة الرب سبحانه وتعالى واسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم .

وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جُرِّد لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه[3] المبطلة لشركهم أشمأزت قلوبهم .

وثقل[4] عليهم ، لو وجدوا السبيل إلى سّد آذانهم لفعلوا ، وكذلك[5] نجد أعداء أصحاب رسول الله (ﷺ) إذا سمعوا

= على الجهمية والمعطلة .
واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية . انظر مؤلفاته في العلوم الإسلامية .

= (٧) البدعة هي كل شيء مستحدث للاستزادة انظر ترتيب القاموس المحيط باب (بدع) .

(١) البدعة بالكسر الحدث في الدين بعد الإكمال أو ما استحدث بعد النبيّ ﷺ في الأهواء والأعمال (نفس المصدر ص ٢٣٠ ، جزء (١) .

(٢) قسوره القعورة : العزيز والأسد . كالقفور ونصف الليل أو أوله أو معظمه والرماة من الصيادين . المصدر نفسه . ص ٦١٦ ، جزء (٢) .

(٣) [ت] : النصوص .

(٤) [ت] و[ث] : ثقلت .

(٥) [ث] : ولذلك .

نصوص الثناء على الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله (ﷺ) ثقل ذلك عليهم جداً . فأنكرته قلوبهم وهذا كله شَبَه ظاهر ومثل محقق من أخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء فانهم لمّا تشابهت قلوبهم تشابهت[1] أعمالهم[2] .

فصل

وقد ذكر سبحانه المثلين من المائي والناري في سورة الرعد ولكن في حق المؤمنين فقال تعالى : ﴿ انزل من السماء ماء فسالت أوديه بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل

(١) في المخطوطة [أ] تساهلت . وقوله تساهلت قلوبهم ، تساهلت أعمالهم / أقول تساهل القلوب يعني ضعف الأيمان وخفة وزنه ، وضآلة حجمه . أما تساهل العمل فيعني إنكار التوحيد من أهل الشرك وإنكار صفات الله تعالى وتجريده من صفاته التي اثبتها . كما زعم الجهمية ذلك وذم صحابة رسول الله ﷺ .

(٢) يعني بذلك الرافضة وهم غلاة الشيعة الذين يؤذون رسول الله ﷺ بكراهية أصحابه . بل وبشتمهم وتكفيرهم .

- ويريد المصنف بهذا الاستطراد أن يبيّن أن هناك صفة يشترك بها المنافقون الذين يضعون أصابعهم في آذانهم خوفاً من سماع الحق وآياته ، مع فرقة الجهمية . وفرقة المشركين وروافض الشيعة كل هؤلاء مع المنافقين . يسّدون آذانهم ويثقل عليهم سماع التوحيد المجرد الخالص وآيات الثناء على صحابة الرسول ﷺ .

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾[1] .

﴿ كذلك يضرب الله الأمثال﴾[2] شبّه الوحي[3] الذي أنزله لحياة القلوب والاسماع[4] والأبصار بالماء[5] الذي أنزله لحياة

---

(١) سورة الرعد الآية : ١٦ .

(٢) سورة الرعد الآية : ١٣ م ١٧ .

(٣) الوحي (وح ي) الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيته على غيرك والصوت يكون في الناس وغيرهم كالوحي والوحاة ج وحيّ وأوحى إليه بعثه والهمة . ونفسه وقع فيها خوف ص ٥٨٥ جزء (٤) . ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي .

(٤) قوله في : (لحياة القلوب والإسماع والأبصار) أقول : حياة القلوب بالإيمان والهداية . وحياة الاسماع . بسماع الحق واتباعه ، والأعراض عن الباطل واجتنابه . وحياة الأبصار بالاعتبار بآيات الله والنظر في ملكوت السموات والأرض وغضها عن المحارم ، ولا شك أن كلا من السمع والبصر والفؤاد . يكون حياً بالطاعات وثمرتها رضوان الله وجنته وجنة عرضها السموات والأرض . ومن لم يكن كذلك كان أولى بصفة الموت والموتى قال تعالى : ﴿قل هل انبئكم بالاخسرين أعمالاً . الذين خسروا أنفسهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾.

(٥) وقوله بالماء ، أقول الوحي الذي أنزله الله تعالى على القلوب مشبّه . والماء الذي أنزله على الأرض مشبه به . والجامع بينهما الأحياء في كل . وكما أن الماء يحيي الأرض بعد موتها وما عليها من أشجار ونبات . كذلك الوحي يحيي موات القلوب وما اتصل بها من أعضاء البدن كالجوارح .

الأرض بالنبات وَشبّهَ القلوب بالاودية ، فقلب كبير يسع علماً عظيماً كواد كبير يسع ماءً كثيراً ، وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير ، فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها ، كما أن السيل إذا خالط الأرض ومرّ عليها ، احتملت(١) غثاء وزبداً ، فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء وقت شربه من البدن اخلاطه(٢) فينكرب(٣) بها شاربه وهي(٤) من تمام نفع الدواء فإنه أثارها ليذهب بها ،

ـ وكما أن الأرض تخضر . والأشجار تورق وتزهر . كذلك القلب يطمئن بالإيمان وينتعش باليقين وينتقل ذلك إلى الأعضاء فتنشط للعبادة وتسرع إلى الطاعة .

وإذا حلّت الهداية قلبا نشطت للعبادة الأعضاء

فسبحان من أحيى الأرض وما عليها ومن عليها ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾.

(١) [ت] : احتمل .

(٢) وقوله في : (اخلاطه) الضمير للبدن . أخلاط البدن أمراضه خلط الشيء بغيره و(اختلط) فلان ـ أي فسد عقله . والتخليط في الأمر الإفساد فيه . ص ١٨٤ مختار الصحاح .

ـ والمراد هنا الأمراض التي اختلط أمرها على المريض .

(٣) [ت] : فيتكدر .

ـ وقوله : (فينكرب) الكربة بالضم الضمّ الذي يأخذ بالنفس وكذا (الكرب) أن يفعل كذا بفتح الراء أيضاً اي كاد أن يفعل . وكربت الأرض أيضاً قلبها للحرث اهـ مختار الصحاح ص ٥٦٦ .

(٤) وقوله : (وهي) الواو للحال كما هو ظاهر .

فإنه لا يجامعها ولا يساكنها وهكذا ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾[1] ثم ذكر المثل الناري ﴿ ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾[2] ، وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب[3] والفضة والنحاس والحديد[4] فتخرجه النار وتميّزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيرمى ويطرح ويذهب جفاءً ، فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها ويجفوها[5] كما يطرح السيّل والنار ، ذلك الزبد والغثاء[6] والغيث ، ويستقر في قرار الوادي ، الماء الصافي النقي الذي يسقى[7] منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم كذلك يستقر في قرار القلب وجدره[8] الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه

---

(١) سورة الرعد الآية : ١٧ م ١٣ .

(٢) سورة الرعد الآية : ١٧ م ١٣ .

(٣) سبك الذهب والفضة وغيرها الخ ... أي أذابها وبابه : ضرب (مختار الصحاح ص ٤٨٤) .

(٤) تفسير النسفي : ٢/٢٤٧/ الطبري : ١٤/١٣٦ .

(٥) ج ف ى : جفيته أجفيه صرعته والجفاية بالضم السفينة الفارغة والجفاء نقيض الصلة . جفاه جفوا وجفاء . ص ٥٠٨ جزء (١) . ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي .

(٦) (ذلك الزبد والغثاء الخ ..) الكلام على سبيل اللطف والنثر المرتب . فالزبد والفناء يطرحه السيل والخبث تطرحه النار .

(٧) [ت] و[ب] : يستقي .

(٨) جدر ج د ر : (الجدر) الحائط كالجدار ج جدر وجدران . ترتيب القاموس المحيط / ، ص ٤٥٦ جزء (١) .

وينتفع به غيره ومن لم يفقه[1] هذين المثلين ولم يتدبرهما[2] ويعرف ما يراد منهما فليس من أهلهما[3] والله الموفق .

فصل

ومنها قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به . نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وأزيّنت﴾[4] إلى قوله تعالى :

(١) (من لم يفقه هذين الخ ....)
ـ الفقه : الفهم ، وقد فقه الرجل بالكسر . وهو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم . انظر مختار الصحاح ص ٥٠٩ وانظر المفردات ص ٣٨٤ .
ف ق ه « الفقه » بالكسر العلم بالشيء والفهم له والفطنة وغلب على علم الدين لشرفه وفقه ككرم وفرح فهو فقيه ... ص ٥١٣ جزء (٣) ، ترتيب القاموس المحيط .

(٢) قوله : (لم يتدبر الخ ....) نقول : التدبر النظر في عواقب الشيء ، والتفكر فيه .

(٣) قوله : (فليس من أهلهما) نقول : طلب الشيخ لمن يريد أن يكون من أهل هذين المثلين ثلاثة أمور .
١ ـ أن يتفهمهما فهماً دقيقاً .
٢ ـ أن يعمل فكره ويدير نظره ليستخلص النتائج والعواقب .
٣ ـ أن يعرف ماذا أراد الله بهما .

(٤) سورة يونس الآية : ٢٤ / ك . / ١٠ \

﴿كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون﴾ [1] . شَبَّهَ سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزّين في عين الناظر فتروقه[2] بزينتها وتعجبه[3] فيميل إليها ويهواها اغتراراً منه بها ، حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سُلِبَها بغتة[4] أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها فشبهها بالأرض[5] الذي[6] ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به ويظن أنه قادر عليها ، مالك لها ، فيأتيها أمر الله ، فتدرك نباتها الآفة بغته فتصبح كأن لم تكن قبل فيخيب[6] ظنه فتصبح يداه صفراً منهما . هكذا حال

---

(١) نفس الآية السابقة ـ سورة يونس ٢٤/ك .

(٢) فتروقه : تعجبه فيميل إليها .

(٣) [ت] : فكذا .

(٤) قوله : (سلبها بغتة الخ ...) أقول : سلبها إما بالموت وهذا ظاهر ، وأما بأفة تجتاحها وتزيلها ، وأما بمرض ينزل بساحة المرء فلا يستفيد من دنياه شيئاً وإنما تكون عليه حسرات .

(٥) قوله : (فشبهها بالأرض الخ ...)
ـ الحياة الدنيا وما تزيّنت به مشبه . والأرض وما ازدهرت به مشبه به والجامع بينهما مطلق . والتزين في كل ، والمراد من التشبيه ما ذكره الشيخ من أن العاقل المتدبر يدرك أنه لا يثق بدوام هذا ولا ذاك ، فكل مآله العدم ، ونهايته الفناء وإذا كان الأمر كذلك فليغذ السير لجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

(٦) والأصح : التي .

(٧) في الأصل : فيغيب في [أ] .

الدنيا والواثق بها سواء . وهذا من أبلغ التشبيه[1] والقياس ولما كانت هذه الدنيا عرضة لهذه الآفات ، والجنة سليمة منها قال تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾[2] فسّماها ها هنا دار السلام[3] لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا فعم بالدعوة إليها، وخصّ بالهداية من شاء فذاك عدله[4]، وهذافضله.

فصل

ومنها قوله تعالى : ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع ، هل يستويان مثلاً ، أفلا تذكرون﴾[5] فإنه سبحانه

---

(١) قوله : (من أبلغ التشبيه الخ ...) كونه من أبلغ التشبيه وأبلغ القياس فالعلة التي أوجبت عدم الاغترار بالأرض التي تزينت فتحققه في إقبال الدنيا وزينتها فينبغي عدم الاغترار أيضاً .

(٢) سورة يونس الآية : ٢٥ . وفي [ب] ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم « لسلامتها » .

(٣) قوله : (هاهنا دار السلام ... الخ ..) هذا وجه لتسميتها بدار السلام ، وهناك وجه آخر ـ أن السلام من اسمائه تعالى ـ فالله تعالى يدعوا أحبابه إلى داره ومجاورته فيها لينالوا الحسنى وزياده ، وهي التمتع بالنظر إلى وجهه الكريم .

(٤) وقوله : (فذاك عدله ...) لف ونشر مرتب فذاك أي الدعوة العامة عدل ، واختصاصه لمن شاء بالهداية إلى طريق الجنة وتيسيرها فضل ، ﴿ والله يختص برحمته من يشاء﴾ ، والحكيم لا يسأل عما يفعل لأنه يعقل ما تقتضيه الحكمة العالية ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ .

(٥) سورة هود الآية : ١١ .

وتعالى ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم فوصفهم بعبودية[1] الظاهر والباطن جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصمّ من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق أصم عن سماعه بمن فشبهت[2] بمن بصره أعمى عن رؤية أحق الأشياء[3] وسمعه أصمّ عن سماع الأصوات[4] والفريق الآخر بصير القلب سميعه ، كبصير العين وسميع[5] الأذن فتضمنت الآية عن رؤية أحق الأشياء[6] قياسين وتمثيلين للفريقين ، ثم نفى التسوية عن الفريقَين بقوله ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾[7] .

---

(١) وقوله في : (بعبودية الظاهر الخ ...) عبودية الظاهر هي عمل الصالحات ، وعبودية الباطن مخافته تعالى والخضوع له والإنابة إليه واللجوء إليه والإخلاص له .

(٢) فشبهه : في [ت] و[ث] .

(٣)

(٤) وقوله : (سماع الأصوات ..) المراد بالأصوات أصوات الآيات الدالة على الحق .

(٥) سميعة في : [ث] .

(٦) [ت] و[ب] و[ث] : رؤية الأشياء .

(٧) سورة هود الآية : ١١ .

فصل

ومنها قوله تعالى ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت ، اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾[1] ، فذكر سبحانه وتعالى أنهم ضعفاء ، وإن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم ، فهم في ضعفهم[2] وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت واضعفها[3] وتحت هذا المثل[4] أن هؤلاء[5] المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤١ .

(٢) قوله : (فهم في ضعفهم وما .. الخ) .

ـ فهم ... وما .... مشبّه ـ والعنكبوت وما اتخذته من بيت ، مشبه به والجامع بينهما الضعف والوهن في كل ، والغاية من التشبيه إبراز شدة ضعف الكفار حين استندوا إلى أوليائهم الذين يشبهون بيت العنكبوت في ضعفهم ، وظنوا أنهم صاروا بهم أقوياء . فالعنكبوت ضعيفة وبيتها أضعف ، وكذلك الكفار ضعفاء وأولياؤهم أضعف منهم .

(٣) في [ب] و[ث] : وبحسب .

(٤) وقوله : (تحت هذا المثل الخ ...) .

ـ يعني أن ضرب هذا المثل بظاهرة يفيد أن هؤلاء الكفار باتخاذهم أولياء من دون الله صاروا ضعافاً ، ولكن بانضمام الآيات التي ساقها المؤلف تفيد أنهم صاروا أضعف بهذا الاتخاذ .

(٥) في [ث] : هاؤلاء .

كما قال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ، كلا سيكفرون [١] بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون [٣] نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴾ [٤] . وقال بعد أن ذكر هلاك الأمم المشركين ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب ﴾ [٥] فهذه أربعة مواضع في القرآن الكريم تدل على أن من اتخذ من دون الله ولياً يتعزز به ويتكثّر به ويستنصر به [٦] لم يحصل له بدالاً [٧] ضد مقصوده ففي القرآن [٨]

---

(١) وفي قوله تعالى : (... كلا سيكفرون ...) أي بهذه الآلهة يوم القيامة .

(٢) سورة مريم الآية : ٨٢ .

(٣) وفي قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله ، آلهة لعلهم ينصرون ... ﴾ والمقصود أي بهم .

(٤) سورة يس الآية : ٧٥ .

(٥) سورة هود رقم الآية ١٠١ ك .

(٦) في الأصل [أ] : بها .

(٧) قوله : (يحصل له بدالا ضد مقصوده) والأصح بدل ذلك عوضاً عن كلمة بدالاً . ويحتمل أن تكون (لم يحصل له بدالا ضد مقصوده) .

(٨) وقوله في : (ففي القرآن أكثر من ذلك ... الخ ...) .
ـ أقول لما ذكر أربع آيات ربما يظن القاريء انحصارهذه الدلالات المذكورة في هذا العدد ، فقال في القرآن أكثر من ذلك ، أي ففي القرآن آيات كثيرة تدل على هذا المراد .

أكثر من ذلك وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده ، فأن قيل فهم[1] يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت[2] فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله : ﴿لو كانوا يعلمون﴾[3] فالجواب أنه سبحانه لم ينف[4] عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت ، وإنما نفى علمهم بأن إتخاذهم أولياء من دونه ﴿كالعنكبوت اتخذت[5] بيتاً﴾ فلو علموا ذلك لما فعلوا ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزة وقوة ، فكان الأمر بخلاف ما ظنوا[6] .

---

(١) [ب] : فإنهم .

(٢) في قوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٤١ : ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾.

(٣) نفس الآية السابقة .

(٤) في الأصل ينفي في [أ] و[ب] و[ث] والواجب حذفها .

(٥) في الأصل [أ] : اتخذ وفي [ب] و[ت] و[ث] اتخذت .

(٦) أنظر الجمان ١٨٦ ، / الأمثال ٢٧ ، ٢٨ تفسير ابن كثير ٤١٣/٣/ ٤١٤ .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوّفاه حسابه ، والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه ، موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[1] . ذكر سبحانه للكافرين مثلين مثلاً بالسراب ومثلاً بالظلمات المتراكمة وذلك لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان أحدهما من يظن أنه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه وهذه حال أهل الجهل وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنهم على هدى وعلم ، فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا على شيء وأن عقائدهم[2] وأعمالهم التي ترتبت[3] عليهما كانت كسراب يُرى في أعين[4]

---

(١) سورة النور الآية ٣٩/٤٠ م .

(٢) يقصد : الجهمية .

(٣) قوله : (ترتبت عليها .. الخ) .

ـ عليها الضمير يعود على أهل الجهل والبدع والأهواء الذين يظنون أنهم على هدى ونور .

(٤) [ت] : كسراب بقيعة يرى في عين ..

الناظرين ماء ولا حقيقة له ، وهكذا الأعمال [١] التي لغير الله عزّ وجلّ وعلى غير أمره يحسبها العامل نافعة له[٢] وليست كذلك ، وهذه هي الأعمال [٣] التي قال الله عزّ وجلّ فيها ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ [٤] وتأمل جعل الله سبحانه السراب بالقيعة وهي الأرض الخالية القفر من البناء والشجر والنبات [٥] والعالم فجعل السراب أرض قفر لا شيء فيها [٦] والسراب لا حقيقة له وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الايمان والهدى وتأمل ما تحت قوله : ﴿ يحسبه

---

(١) قوله (وهكذا الأعمال .. الخ ..) .
ـ هكذا .. الخ .. استطراد من المؤلف لبيان أن الأعمال التي لغير الله وأن الأعمال التي ليست مطابقة لأوامر الله ويحسبها العامل أنها نافعة ولكنها في الحقيقة لا نفع لها ، كأعمال أهل البدع والأهواء فإنهم لجهلهم يظنون أن أعمالهم نافعة ولكنها أيضاً في الحقيقة لا نفع لها .

(٢) الزيادة من [ت] و[ث] .

(٣) وقوله في : (وهذه هي الأعمال .. الخ ..) .
ـ وهذه : يصح رجوع الإشارة إلى القريب وهي الأعمال لغير الله وعلى غير أمره ويصح رجوعه لجميع ما مر .

(٤) سورة الفرقان الآية : ٢٣ ك .

(٥) وقوله في : (والشجر والنبات والعالم وجعل السراب الأرض قفر .. الخ) .
ـ العالم في هذه الجملة زائدة والجملة فيها اضطراب والصواب صياغتها على الشكل التالي (والنبات فمحل السراب أرض القفر) .

(٦) في [ب] فيها وفي [ت] و[أ] : بها .

الظمآن ماء﴾ [١] والظمآن الذي اشتد عطشه فرأى السراب فظنه ماء فتبعه فلم يجده شيئاً بل خانه وهو أحوج ما كان إليه .

فكذلك [٢] هؤلاء لما كانت أعمالهم على غير طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام ولغير الله جعلت كالسراب فرفعت لهم أظمأ ما كانوا إليها [٣] فلم يجدوا شيئاً ووجدوا الله سبحانه [٤] ، ثم جازاهم باعمالهم ووفّاهم حسابهم ، وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدرري [٥] رضي الله عنه عن النبي « ﷺ » في حديث التجلي يوم القيامة (ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها السراب فيقال لليهود وما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولداً فما تريدون ؟ قالوا نريد أن تسقنا ، فيقال لهم : اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولداً فما تريدون ؟

---

(١) سورة النور الآية : ٣٩ م .

(٢) الواو : زائدة (وهؤلاء) في الأصل .

(٣) [ب] و [ت] : اظمأ ما كانوا وأحوج ما كانوا إليها .

(٤) مقتبسة من قوله تعالى : ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ سورة النور : الآية ٣٩ .

(٥) أبو سعيدالخدري : هو سعد بن مالك بن سنان الخدري ، بايع تحت الشجرة وشهد ما بعد أحد ، وكان من علماء الصحابة توفي سنة ٧٤ هـ . للاستزادة انظر كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ١٤ وكتاب الاصابة في معرفة الصحابة ص ٤١٤ جزء (٣) .

فيقولون أن تسقنا فيقال لهم : اشربوا فيتساقطون)[1] وذكر الحديث وهذه حال كل صاحب باطل فإنه يخونه باطله وهو أحوج ما كان إليه فإن الباطل لا حقيقة له وهو كاسمه باطل ، فإذا كان الاعتقاد غير مطابق ولاحق كان متعلقة باطلاً ، وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة[2] كالعمل لغير الله عزّ وجلّ أو على غير أمره بطل العمل ببطلان غايته وتضرر عامله ببطلانه وبحصول ضد ما كان يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه بل صار معذباً بقوات[3] نفعه وبحصول ضد النفع فلهذا قال تعالى : ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾[4] فهذا مثل الضال الذي يحسب[5] أنه على هدى .

---

(١) صحيح البخاري . باب التوحيد . حديث رقم ٢٤/ تفسير سورة رقم ٨/٤/ باب الأيمان /٣/٢/ مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٧/١٦/٣ .

(٢) قوله في : (متعلقة باطلاً ...) الخ يعني الأعمال .

(٣) والأصوب : بفوات .

(٤) سورة النور الآية : ٣٦ .

(٥) [ب] : بحسب : يحسب عمله .

فصل

النوع الثاني أصحاب مثل الظلمات المتراكمة وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال متراكمة عليه ظلمة الطبع وظلمة النفوس وظلمة الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم فصاروا جاهلين وظلمة اتباع الغي والهوى فحالهم كحال من كان في بحر لجي لا ساحل له وقد غشيه موج ومن فوق ذلك الموج موج[1] ومن فوقه سحاب مظلم. فهو في ظلمة البحر، وظلمة الموج وظلمة السحاب وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات[2] التي لم يخرجه الله منها إلى نور الإيمان وهذان المثلان بالسراب الذي ظنه مادة الحياة وهو الماء والظلمات المضادة للنور نظير المثلين الذين ضربهما للمنافقين والمؤمنين وهما المثل المائي والمثل الناري[3] وجعل حظ المؤمنين منهما الحياة والاشراق، وحظ المنافقين منهما الظلمة المضادة للنور والموت المضاد للحياة فكذلك

---

(١) كررنا موج ولم تكن في الأصل.

(٢) الأصح ترتيب الجملة على الوجه التالي ليستقيم المعنى (من الظلمات التي لم يخرجه الله منها إلى النور ...).

(٣) تفسير ابن كثير : ٣/٢٩٦.

الكفار في هذين المثلين حظهم من الماء السراب الذي يغرر[1] الناظر فيه ولا حقيقة له وحظهم الظلمات المتراكمة وهذا يجوز أن يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار وأنهم عدموا مادة الحياة والإضاءة باعراضهم عن الوحي فيكون المثلان صفتين لموصوف واحد ويجوز أن يكون المراد به تنويع[2] أحوال الكفار وأن أصحاب المثل الأول هم الذين عملوا على غير علم ولا بصيرة بل على جهل وحسن ظن بالاسلاف فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وأصحاب المثل الثاني هم الذين استحبوا الضلالة على الهدى وآثروا[3] الباطل على الحق وعموا عنه بعد أن ابصروه وجحدوه[4] بعد أن عرفوه فهذا حال المغضوب عليهم والأول حال الضالين وحال الطائفتين مخالف لحال المنعم عليهم المذكورين في قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾ إلى قوله ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[5] فتضمّنت الآيات أوصاف الفرق

(١) [ت] و[ب]: يغر الناظر.

(٢) [ب] و[ت]: متنوع.

(٣) آثروا أوردناها ولم تكن في الأصل.

(٤) الأصل مجدوا والصواب: جحدوا.

(٥) سورة النور الآية: ٣٥ـ٣٨.

ـ ﴿الله نور السموات والأرض﴾ وقوله: ﴿مثل نوره﴾ وقوله: ..

= ﴿يهدي بنوره من يشاء﴾ كقولك زيد كرم وجود ثم نقول : ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات والأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى : ـ﴿الله ولي الذين أمنو يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ ـ أي من الباطل إلى الحق ، وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد المعنيين : أما للدلالة على سعة أشراقه وفشوّ اضاءته حتى تضيء له السموات والأرض وأما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به .. للاستزادة انظر تفسير الكشاف ص ٦٧ .

ـ﴿الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء لو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم﴾.

ـ (المشكاة) الطاقة غير النافذة وقد شرح إمام الحجة أبو حامد الغزالي عليه الرحمة في رسالته (مشكاة الأنوار) هذا المثل العظيم شرحاً أقتبس أنواره من نور الله ، بالهام من تجلي الربوبية .

وليس بمقدور أحد أن يوفيّ هذا المثل المعجز حقه من الشرح والتأوّيل في هذا المقال الموجز بيد أنني أعتقد أن من تدبره وتعمق في تفهمه وله ذوق صوفي وعلم بالأشعة والأنوار يدرك منه تصويراً بليغاً لوجود العالم وقيامه بوجود الواحد القهار الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ....

ـ للاستزادة راجع تفسير ابن كثير وتفسير الكشاف وتفسير الجلالين وكتاب الأمثال في القرآن الكريم لمنير القاضي ص ٢١ .

الثلاثة المنعم عليهم وهم أهل النور والضالين وهم أصحاب السراب والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة والله أعلم. فالمثل الأول من المثلين لأصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع، والمثل الثاني لأصحاب العلوم والنظر والأبحاث الذي[1] لا تنفع[2] فاؤلئك أصحاب العمل الباطل وهؤلاء أصحاب العمل الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق ولهذا مثّلَ حال الفريق الثاني في تلاطم أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم تلاطم أمواج البحر فيه وإنها أمواج متراكمة من فوقها سحاب مظلم، وهكذا أمواج الشكوك والشبه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها سحب الغي والهوى والباطل، فليتدبر اللبيب[3] أحوال الفريقين وليطابق منهما وبين المثلين يعرف عظمة القرآن وجلاله وأنه تنزيل من حكيم حميد. وأخبر سبحانه أن الموجب لذلك أَنه لم يجعل لهم نوراً[4] بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها فلم يخرجهم منها إلى النور فأنه سبحانه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات

---

(١) الأصوب: التي وهي في [ت]: التي.

(٢) سقط في [ب] و[ت] و[ث].

(٣) اللبيب: الفطن.

(٤) في الأصل [أ] منوراً فاسقطنا الميم واثبتنا النون ليستقيم المعنى.

ـ للاستزادة راجع تفسير الكشاف ص ٦٧ جزء (٣).

إلى النور[١] ، وفي المسند من حديث عبد الله بن عمر[٢] رضي الله عنهما أن النبي « ﷺ » قال (إن الله خلق خلقه في ظلمة القى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل)[٣] فلذلك أقول : جف القلم على علم الله فالله سبحانه[٤] خلق الخلق في ظلمة فمن أراد هدايته جعل له نوراً وجودياً يحيي به قلبه وروحه كما يحيي بدنه بالروح التي ينفخها فيه فهي[٥] حياتان ـ حياة البدن بالروح ـ ، وحياة الروح والقلب بالنور ولهذا سمى الله الوحي روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه كما قال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[٦] وقال : ﴿ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[٧] وقال : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من

---

(١) مقتبسة من قوله تعالى﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ سورة البقرة ٢٥٧ م .

(٢) هو عبد الله بن عمر الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن . ت في دمشق راجع تجريد أسماء الصحابة للذهبي جزء (١) ص ٣٢٥ .

(٣) ذكر هذا الحديث في سنن الترمذي كتاب ٣٨/ باب ١٨ .
ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل / ومستدرك الحاكم وضعفه السيوطي .

(٤) زيادة في [ت] و[ث] .

(٥) [ب و[ت] : فهما .

(٦) سورة النحل ٢ ك .

(٧) سورة غافر الآية : ١٥ .

عبادنا﴾(1) فجعل وحيه روحاً ونوراً فمن لم يحيه(2) بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نوراً منه فهو في الظلمات ما له من نور(3).

فصل

ـ ومنها قوله تعالى: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً﴾(4) فشبه أكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له وجعل الأكثرين أضل سبيلاً من الأنعام لأن البهيمة يهديها سائقها فتهتدي وتتبع الطريق(5) فلا تحيد عنها يميناً ولا شمالا

(1) سورة الشورى الآية: ٥٢.

(2) في الأصل بهذا. والأصح بهذه ليستقيم المعنى.

(3) انظر الجمان ١٧٧/١٨٠.

(4) سورة الفرقان الآية: ٤٤.

(5) أوردناها ولم تكن في الأصل.

ـ قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعلوا أضل من الأنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي للاستزادة راجع الكشاف جزء (٣) ص ٩٤.

والأكثرون يدعونهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم والأنعام تفرق بين ما يضرّها من النبات والطريق فتجتنبه وما ينفعها فتؤثره والله تعالى لم يخلق للانعام قلوباً تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها[1] وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والإسماع والأبصار فهم أضل من البهائم فإن من لا يهتدي إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل له[2] أضل وأسوأ حالاً ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى :﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت إيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون﴾[3] وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون[4] صحتها

(١) [ب] : تتكلم بها .
(٢) [ب] و[ث] : إليه .
(٣) سورة الروم الآية : ٣٠ .
(٤) في الأصل في [ب] و[ت] يعرفونه فأسقاط الهاء لاستقامة المعنى .
ـ قال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أي قوله تعالى : ﴿ وهو أهون عليه﴾ ، قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل يريد

من نفوسهم ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندهم[1] معلوم لها فقال ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾[2] أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فانتم وهم في ذلك سواء تخافون[3] منهم أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها ويستأثرون ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه وقال ابن عباس[4] تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً والمعنى هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في

= التفسير الأول ، فإن قلت أي فرق بين ، من الأولى والثانية والثالثة من قوله تعالى ﴿من أنفسكم﴾ مما ملكت إيمانكم من شركاء قلت الأولى للابتداء والثانية للتبعيض ، والثالثة مزيده للتأكيد أو الاستفهام .
الجاري مجرى النفي ... والمعنى هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضها ﴿ فيما رزقناكم﴾ من الأموال وغيرها تكونون أنتم وعبيدكم فيه سواء . من غير تفضله بين حر وعبد ... للاستزادة راجع تفسير الزمخشري (الكشاف) ص ٢٢١ جزء (٣) .

(١) [ت] : عندها .
(٢) سورة الروم الآية : ٢٨ وفي الأصل وردت الآية محرّفة وعلى الشكل التالي (هل لكم مما ملكت إيمانكم من عبيدكم وإيمائكم شركاء) فاقتضى التنويه .
(٣) [ب] : تخافونهم ـ إنظر الطبري ٣٩/٢١/ البغوي ٢٠٧/٥ .
(٤) سبق تعريفه .

التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأن يتصرف[1] فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم لي من خلقي من هو مملوك لي فإن كان هذا الحكم باطلاً في خاطركم[2] وعقولكم مع أنه جائز عليكم وممكن في حقكم إذ ليس عبيدكم ملكاً لكم حقيقة وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم وانتم وهم عبادي[3] فكيف[4] تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول[5].

فصل

ـ ومنها قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستويان الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على

(١) يتعرف في الأصل والأصح استبدالها بـ (يتصرف) لتستقيم الجملة.

(٢) في [ت] خطركم و[ث] خاطرك.

(٣) [ت]: عبيد لي

(٤) زيادة من [ت] و[ث].

(٥) انظر ابن كثير ٢١/٣٨/الطبري ٢٨.

صراط مستقيم﴾[1] هذان مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه فإن القياس نوعان قياس طرد يقتضي اثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه وقياس عكس يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه فالمثل الأول ما ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان فأن الله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبيده سراً وجهراً ، ليلاً نهاراً ، يمينه ملأى لا تغيضها نفقة ، سبحانه

---

(١) سورة النحل الآية : ٧٥/٧٦ .

- قال الزمخشري ، (رحمه الله) . مثلكم في اشراككم بالله مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف بين حرماً لك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء : فان قلت : لم قال ﴿مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف ؟ قلت أما ذكر المملوك فليميز من الحراسم العبد لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً لأنهما من عباد الله وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له الملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح له : فإن قلت من في قوله ﴿ومن رزقناه﴾ ما هي ؟ قلت : الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحراً رزقناه ليطابق عبداً ولا يمتنع أن تكون موصوله : فإن قلت لم قيل (يستوون) على الجمع قلت : معناه هل يستوي ! الأحراروالعبيد . للاستزادة راجع تفسير الكشاف للزمخشري جزء (٢) ص ٤٢٠ .
- الأبكم : الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم ﴿وهو كل على مولاه﴾ أي ثقل وعيال على من يلي أمره . للاستزادة راجع تفسير الكشاف للزمخشري ص ٤٢١ جزء (٢) .

الليل والنهار والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء فكيف تجعلونها شركاء لي تعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين هذا قول مجاهد[1] وغيره وقال ابن عباس[2] : وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر ومثل المؤمنين في الخير الذي عنده ثم رزقه منه رزقاً حسناً فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سراً وجهراً والكافر بمنزلة عبد مملوك (عاجز)[3] لا يقدر على شيء لأنه لا خير عنده فهل يستوى الرجلان عند أحد من العقلاء ؟ والقول الأول أشبه بالمراد ، فإنه أظهر في بطلان الشرك ، وأوضح عند المخاطب وأعظم في اقمامة الحجة وأقرب نسباً[4] بقوله :﴿ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وانتم لا تعلمون﴾[5] ثم قال ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر﴾ ، ومن لوازم هذا المثل وأحكامه أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقاً حسناً والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء فهذا مما نبّه عليه

(١) انظر الطبري : ١٤/١٤٩/١٥٠ . ابن كثير ٢/٥٧٨ .
(٢) انظر زاد المسير ٤/٤٧٣ . الطبري ١٤/١٤٩ .
(٣) مزيدة من [ب] و[ت] .
(٤) [ب] : منها .
(٥) سورة النحل الآية : ٧٤/١٦ ك .

المثل وأرشد إليه فذكره ابن عباس منبها على إرادته ، لأن الآية[1] اختصت به فتأمله فأنك تجده كثيراً في كلام ابن عباس[2] وغيره من السلف في فهم القرآن فيظن الظان أن ذلك هو معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله[3] .

فصل

وأما المثل الثاني فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون[4] من دونه أيضاً ، فالصنم الذي يعبدون من دونه[5] بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق بل هو أبكم القلب واللسان قد عدم النطق القلبي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر علي شيء البتة ، ومع هذا فاينما أرسلته لا يأتيك بخير ، ولا يقضي لك حاجة[1]

---

(١) [ب] و[ت] و[ث] : أن الآية .

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ لقب بالحبر والبحر لكثرة علمه . دعا له رسول الله بقوله « اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل » وقد نشأ في بيت النبوة ولازم بني الأمة وكبار صحابته يأخذ عنهم ويروى لهم ويعرف منهم مواطن نزول القرآن وتواريخ التشريع وأسباب النزول (توفي سنة ٦٨ هـ) على الأرجح .

(٣) الطبري ١٥١/١٤٨/١٤ .

(٤) في [ت] : يعبد .

(٥) في [ب] : دون الله وفي [ت] من دون الله .

وأنه سبحانه حي قادر متكلم يأمر بالعدل ، وهو على صراط مستقيم وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد فأن أمره بالعدل وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم له راضى به ، آمر لعباده به محب لأهله لا يأمر سواه بل تنزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل بل أمره وشرعه عدل كله وأهل العدل هم أولياؤه واحباؤه وهم المجاورة[1] عن يمينه على منابر من نور ، وأمره بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني ، والأمر القدرة الكوني ، وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما كما في الحديث الصحيح (اللهم أني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل ، فيّ قضاؤك)[2] ، فقضاؤه هو أمره الكوني فإنما أمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون . فلا يأمر إلا بحق وعدل[3] وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل

---

(١) [ب] : المجاورة له .

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٣٩١/٤٥٢ .

ـ قال الزمخشري (رحمه الله) : ولما ذكر توكلت ـ شعيب عليه السلام ـ على الله وثقته بحفظه ، وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه . وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته تحت قهره وسلطانه هو الآخذ بناصيتها تمثيل ﴿إن ربي على صراطٍ مستقيم﴾ يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده مغتصب ولا مستجير به .

انظر الكشاف للزمخشري ص ٢٧٦/٢٧٧ جزء (٢) .

(٣) [ب] : بالحق والعدل .

وإن كان في المقضي المقدر ما هو جور وظلم فإن القضاء[1] غير المقضي ، والقدر غير المقدر ، ثم أخبر سبحانه (أنه على صراط مستقيم)[2] وهذا نظير قول رسوله شعيب[3] عليه الصلاة والسلام ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾[4] ، فقوله ﴿ ما من دابة إلّا أخذ بناصيتها ﴾ نظير قوله : ﴿ ناصيتي بيدك ﴾ وقوله : ﴿ إن ربي على صراط مستقيم ﴾[5] نظير قوله : ﴿ عدل فيّ قضاؤك ﴾ فالأول ملكه ، والثاني حمده ، وهو سبحانه له الملك وله الحمد . وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي أنه لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالعدل ولا يفعل إلا ما هو مصلحة ، وحكمة وعدل فهو على الحق في أقواله وأفعاله ، فلا يقضي على العبد ما يكون ظالماً له به ولا يأخذه بغير ذنبه ولا ينقصه من حسناته شيئاً ولا يحمل عليه من سيئات غيره التي لم يعملها ولا يتسبب إليها[6] شيئاً ، ولا يؤاخذ أحداً بذنب غيره ، ولا يفعل قط ما لا يحمد عليه ويثنى به عليه ، ويكون له فيه العواقب الحميدة والغايات المطلوبة فإن كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله . قال : محمد ابن

(١) [ب] : فالقضاء .
(٢) سورة هود الآية : ٥٦ .
(٣) الصحيح أنه هود وليس شعيباً كما في [ب] و[ث] .
(٤) سورة هود الآية : ٥٦ .
(٥) سورة هود الآية : ٥٦ .
(٦) [ب] : يتسبب بها .

جرير الطبري[1] وقوله :﴿ أن ربي على صراط مستقيم﴾ يقول : إن ربي على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه باحسانه والمسيء بأساءته لا يظلم أحد منهم شيئاً ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان (ثم حكى عن مجاهد[2] من طريق شبل[3] عن ابن أبي نجيح[4] عنه :﴿ إن ربي على صراط مستقيم﴾ قال : الحق وكذلك رواه ابن جريج[5] عنه ، وقالت فرقة : هي مثل قوله ﴿ أن ربك لبالمرصاد﴾ وهذا اختلاف عبارة فإن كونه بالمرصاد هو مجازاة المحسن باحسانه والمسيء بأسأته ، وقالت فرقة : في الكلام حذف تقديره ، إن ربي يحثكم على صراط مستقيم ، ويحضكم عليه . وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية التي أريد بها فليس كما

---

(١) الطبري هو الإمام الجليل المجتهد المطلق صاحب التصانيف المشهورة ولد في طبرستان سنة ٢٢٤ هـ ورحل في طلب العلم وسمع بمصر والشام والعراق واستقر ببغداد إلى أن مات سنة ٣١٠ هـ .
ـ للاستزادة انظر كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٤٥ .

(٢) مجاهد : هو من أبرز أئمة التابعين في التفسير ، اعتمد على تفسير الشافعي والبخاري . للاستزادة راجع ص ٣١/٣٠ كتاب تحذير الخواص .

(٣) ابن عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي أبو الحسن من رجال الحديث استقر في الكوفة ومات سنة ١١١ هـ .

(٤) ابن نجيح هـو : عبد الله بن أبي نجيح الثقفي ولاء أبو يسا المكي وثقة أحمد . توفي سنة ٣١/ ص ١١٣ تحذير الخواص .

(٥) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الرومي الأموي ولاء المكي الإمام الحافظ فقيه الحرم صاحب التصانيف توفي سنة ١٥٠ هـ / ص ١١٣ تحذير الخواص .

زعموا ولا دليل على هذا المقدر .

وقد فرق سبحانه بين كونه آمراً بالعدل ، وبين كونه على صراط مستقيم وإن أرادوا أن حثه على الصراط المستقيم من جمله كونه على صراط مستقيم فقد أصابوا ، وقالت فرقة أخرى معنى كونه على صراط مستقيم أن مردّ العباد والأمور كلها إلى الله لا يفوته شيْء[1] منها وهؤلآء إن أرادوا أن هذا معنى الآية فليس كذلك وإن أرادوا أن هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ومن مقتضاه وموجبه فهو حق ... وقالت فرقة أخرى : معناه كل شيء تحت قدرته وقهره ، وفي ملكه وقبضته وهذا وإن كان حقاً فليس هو معنى الآية ، وقد فرّق شعيب[2] عليه الصلاة والسلام بين قوله : ﴿ ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها ﴾[3] . وبين قوله ﴿ إن ربي على صراط مستقيم ﴾[4] فهما معنيان مستقلان ، فالقول قول مجاهد[5] وهو قول أئمة التفسير ولا تحتمل العربية غيره إلا على استكراه ، قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز[6]

---

(١) في [أ] : شيئاً .

(٢) هود وليس شعيباً كما في [ب] و[ث] . انظر كتاب قصص الأنبياء ، لعبد الوهاب النجار ص ١٤٥ ففيها التعريف الكامل لسيرة الأنبياء وقصصهم .

(٣) سورة هود الآية : ٥٦ .

(٤) سورة هود الآية : ٥٦ .

(٥) مجاهد سبق تعريفه .

(٦) ديوان جرير : ٢١٨/١ يمدح هشام بن عبد الملك .

أمـير المؤمنـين عـلى صراط إذا أعـوج الموارد مستقيم

وقد قال تعالى : ﴿ من يشأ الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم ﴾ [1] ، وإذا كان الله تعالى هو الذي جعل رسله عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم فهو سبحانه أحق أن يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله ، وإن كان صراط الرسل وأتباعهم هو موافقة أمره ، فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده وكماله ومجده من قول الحق وفعله ، وبالله التوفيق :

فصل

ـ وفي الآية قول ثاني ، مثل الآية الأولى سواء [2] أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وقد تقدم ما في معنى هذا [3] القول والله الموفق .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٣٩ ك .
ـ قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ عند قوله (من يشاء الله يضلله) أي يخذله ولم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾أي يلطف به لأن اللطف يستحقه ويجدي به . للاستزادة راجع الكشاف جزء (٢) ص ١٧ .

(٢) [ب] : سوى .

(٣) كلمة معنى ساقطة من [ت] و[ب] .

فصل

ومنه قوله تعالى في تشبيه من أعرض عن كلامه وتدبره ﴿ فماهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسوره ﴾ [1] شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد والرماة ، ففرت منه وهذا من بديع التمثيل [2] فأن القوم في جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله ﷺ كالحمر فهي لا تعقل شيئاً فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور ، وهذا غاية الذم لهؤلاء ، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها ، وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة ، فإنها لشدة نفورها قد استنفر

---

(١) سورة المدثر الآية ٤٩/٥٠/٥١ .

ـ المستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها من جمعها له وحملها عليه .

ـ القسورة : جماعة الرماة ، يتصيدونها : وقيل الأسد يقال ليوث قساوره وهي فعوله من القسر وهو القهر والغلب .

ـ قال عكرمة شبههم في أعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرودهم عنه بحمر جدت في نفارها مما أفزعها ، وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة لهم وتهجين لحالهم كما في قوله تعالى ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ... للاستزادة راجع الكشاف ص ١٨٨ جزء (٤) .

(٢) [ت] : القياس والتمثيل وفي [ب] : القياس التمثيلي .

بعضها بعضاً وحضّه على النفور فإن الإستفعال[1] من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرّد فإنها تواصف بالنفور وتواطأت عليه ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى أن القسورة استنفرها وحملها على النفور ببأسه وشدته .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [2] فقاس سبحانه من حمّله كتابه

(١) [ب] : الاستنفار .

(٢) الجمعة الآية : ٥ م .

ـ قال الزمخشري (رحمه الله) في تفسيرها : شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ، ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها . وذلك أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به ولم يؤمنوا به .

ـ كالحمار يحمل أسفاراً ـ أي كتباً كباراً من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكل والتعب .. وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل .

ـ (بئس) مثلاً ﴿ مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة نبيه محمد ﷺ ومعنى (حمّلوا التوراة) أي كلفوا علمها والعمل بها (ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها .

ـ للاستزادة راجع تفسير الكشاف ص ١٠٣ جزء (٤) .

ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب ، فقرأه [1] به بغير تدبر ولا تفهم ، ولا إتباع له[ولا][2] تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة اسفار لا يدري ما فيها وحظه منها حملها على ظهره ليس إلّا . فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره ، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود ، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤدّ حقه ولم يرعه حق رعايته [3] .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا ، فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ [4] فَشبَّه

(١) [ب] و [ت] : فقراءته .

(٢) زائدة في [ت] .

(٣) الجمان ٣١٢/٣١٣ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ١٧٦ .

ـ في هذه الآية الكريمة تشبيه سيء الخلق وقبيح العمل ولا ينفع فيه ما يدعوه إلى تعدير ما أعوج فيه ، وتبديل ما قبح منه فهو لا يقلع =

سبحانه من أتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره فترك العمل به ، واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه ، ودنياه على آخرته ، والمخلوق على الخالق ، بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدراً وأخسها [1] نفساً وهمته لا تتعدى بطنه ، وأشدها شرها وحرصاً . ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم ويتروح حرصاً وشرها ، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزائه وإذا رميت له بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمه ،

= عن خطته .

انظر كتاب الأمثال في القرآن الكريم ، منير القاضي / ص ١٢ المجمع العلمي ، بغداد .

ـ ﴿ واتل عليهم ﴾ على اليهود (نبأ) الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها ، وهو عالم من علماء اليهود وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره ﴿ فاتبعه الشيطان ﴾ فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له ﴿ فكان من الغاوين ﴾ فصار من الضالين الكافرين . ﴿ فمثله كمثل كلب ﴾ صفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث وإتصاله . سواء حمل عليه أو شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالعمل عليه وذلك أن سائر الحيوانات لا يكون منها اللهث إلا إذا هيج والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعاً . (فمثله كمثل الكلب) وتمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك ...

ـ للاستزادة أنظر تفسير الكشاف ص ١٣١ جزء (٢) .

(١) في [ت] : أخسها وفي [ب] و[أ] : أخبثها .

وهو من أمهن الحيوانات ، وأحملها للهوان وارضاها بالدنايا والجيف القذرة والمروحة أحب إليه من اللحم الطري ، والمقذره[1] أحب إليه من الحلوى ، وإذا ظفر بميته تكفي مائة كلب لم يدع كلباً [2] يتناول معه منه شيئاً إلّا هرّ [3] عليه وقهره[4] لحرصه وبخله وشرهه ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال رؤية نبجه وحمل عليه كأنه يتصور مشاركته له ومنازعته في قوته وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورئآسة وضع له خطمه [5] بالأرض ، وخضع له ولم يرفع إليه رأسه وفي تشبيه من أثر الدنيا وعاجلها على الله ، والدار الآخرة ، مع وفور علمه بالكلب في لهشه [6] سر بديع وهو أن هذا الذي حالته ما ذكره الله من انسلاخه من آياته ، وإتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله تعالى ، والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها ، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال ازعاجه وتركه ، واللهف واللهث شقيقان وإخوان في اللفظ والمعنى قال ابن جريج [1] الكلب منقطع الفؤآد ، ولا فؤآد له

---

(١) في [ب] و[ت] و[ث] : القذرة .
(٢) في [ت] و[ث] : كلباً واحداً .
(٣) في [ت] : نهر .
(٤) في [ت] و[ث] : إلا عن غلبة وقهر .
(٥) في [ت] : خشمة .
(٦) في [ب] : لهفة .
(٧) سبق تعريفه انظر الطبري : ١٢٩/٩ .

إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فهو مثل الذي يترك الهدى ، ولا فؤاد له إنما فؤآده ينقطع ، قلت : مراده بانقطاع فؤآده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث ، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا ، وترك اللهف عليها ، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عليها ، وهذا يلهث من قلة صبره على الماء ، فالكلب من أقل الحيوانات صبراً عن الماء ، وإذا عطش أكل الشرى من العطش ، وإن كان صبر عن الجوع [1] ، وعلى كل حال فهو من أشد الحيوانات لهثاً يلهث قائماً وقاعداً وماشياً وواقفاً ، ذلك لشده حرصه ، فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث ، فهكذا مشبه شدة [2] حرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث[3] ، فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث وإن تركته ، ولم تعظه فهو يلهف قال مجاهد [4] ، وذلك مثال الذي أوتي الكتاب ولم يعمل به وقال ابن عباس [5] إن تحمل عليه الكلمة لم يحملها ، وأن تركته لم يهتد إلى خير كالكلب إن كان ، وأيضاً لهث وإن طرد لهث وقال الحسن [6] : (هو المنافق لا يثبت على الحق

(١) في [ت] و[ث] : وان كان فيه صبر على الجوع .
(٢) في [ت] : شدة الحرص وحرارة الشهوة .
(٣) في [ث] : اللهف .
(٤) انظر الطبري : ١٢٩/٩ .
(٥) انظر الطبري : ١٢٩/٩ .
(٦) انظر الطبري : ١٢٩/٩ .

دعي أو لم يدع وعظ ولم يوعظ ، كالكلب يلهث طرد ، أو ترك وقال عطاء[1] ينبح : إن حملت عليه ، أو لم تحمل ، وقال محمد ابن قتيبة[2] كل شيْء يلهث ، إنما يلهث من أعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة ، وحال الصحة وحال المرض ، والعطش ، فضربه الله مثلاً لمن كذّب بآياته ، وقال ابن عطية[3] : فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً ﴾ [4] ، وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعنى فمنها قوله ﴿ اتيناه آياتنا ﴾[5] فأخبر سبحانه وتعالى أنه هو الذي آتاه آياته فإنها نعمة الله هو الذي أنعم بها عليه فأضافها إلى نفسه ثم قال : ﴿ فانسلخ منها ﴾[6] أي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم ولم يقل

---

(١) الكشف والبيان ١٣١ .

(٢) هو محمد بن سعيد الثقفي ولاء أو رجاء أحد أئمة الحديث روي الحديث عن مالك والليث توفي سنة ٢٤٠ هـ . للاستزادة انظر تارخ بغداد جزء م٢) ص ٣٨٩ وانظر تأويل مشكل القرآن : ٣٦٥ . والقرطبي ٣٢٢/٧ .

(٣) عطية بن سعد من رجال الحديث استقر في الكوفة وتوفي بها . الكشاف جزء (٢) ص ٤٨٩ . والتهذيب لابن حجر العسقلاني جزء (٧) ص ٢٢٤ .

(٤) سورة الكهف الآية : ٥٧ ك .

(٥) ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها ...﴾ سورة الأعراف ١٧٥ ك .

(٦) نفس الآية .

فسلخناه منها لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه ، ومنها قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاتبعه الشيطان ﴾ (١) أي لحقه وأدركه كما قال تعالى في قوم فرعون : ﴿ فاتبعوهم مشرقين ﴾ (٢) فكان محفوظاً محروساً بآيات الله ، محميَّ الجانب بها من الشيطان لا ينال منه شيئاً إلاَّ على غرَّة . وخطفه . فلما انسلخ من آيات الله ، ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته فكان من الغاوين العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه كعلماء السوء ومنها أنه سبحانه قال : ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾(٣) فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم (فإن هذا كان من العلماء) (٤) وإنما هي باتباع الحق وإيثاره وقصد مرضاه الله تعالى فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه ولم يرفعه الله بعلمه ، ولم ينفعه به فتّعوذ بالله من علم لم ينفع ، وأخبرْ سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما أتاه من العلم وإن لم يرفعه الله فهو موضوع لا يرفع أحداً به رأساً ، فأن الخافض الرافع الله سبحانه خفضه ولم يرفعه والمعنى ولو شئنا فضّلناه وشرّفناه ورفعنا قدره ومنزلته

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٥ ك .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٦٠ ك .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٧٦ ك .

ـ﴿ فاتبعوهم ﴾ فلحقوهم مشرفين داخلين من وقت الشروق شروق الشمس شروقاً إذا طلعت . انظر الكشاف جزء (٣) ص ١١٥ .

(٤) زيادة في [ث] و[ب] .

بالآيات التي آتيناه . قال ابن عباس رضي الله عنهما[1] : ولو شئنا لرفعناه بعلمه بها ، وقالت طائفة[2] الضمير في قوله : (لرفعناه) عائد على الكفر والمعنى ، ولو شئنا لرفعناه عن الكفر بما معه من آياتنا .

قال مجاهد [3] وعطاء [4] (لرفعنا عنه الكفر بالإيمان وعصمناه) وهذا المعنى حق ، والأول هو مراد الآية ، وهذا من لوازم المراد وقد تقدم أن السلف كثيراً ما ينبهون على لازم معنى الآية فيظن الظان أن ذلك هو المراد منها وقوله : ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾[5] ، قال سعيد بن جبير[6] : ركن إلى الأرض ، وقال

---

(١) انظر الطبري : ١٢٧/٩ والبغوي ٣١٥/٢ .

(٢) انظر زاد المسير ٢٩٠/٣ وروح المعاني ١٦٣/٣ .

(٣) مجاهد بن جبير المكي (٢١ ـ ١٠٤هـ) من أبرز أئمة التابعين في التفسير قال عنه الإمام الثوري (إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك) انظر البغوي والخازن ٣١٥/٢ .

(٤) عطاء بن أبي رباح القرشي المكي (١١٤) هو من أئمة التابعين وأعلامهم في الفقه والتفسير . انظر البغوي والخازن ٣١٥/٢ .
ـ للاستزادة انظر كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٣٨ .

(٥) سورة الأعراف الآية : ١٧٦ ك .

(٦) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي توفي ٩٥ هـ هو أحد أقطاب مفسري التابعين قال عنه الإمام الثوري : (خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك . انظر القرطبي : ٣٢١/٧ والطبري : ١٢٧/٩ .

مجاهد[1] سكن ، وقال مقاتل[2] : (رضي بالدنيا) ، وقال أبو عبيدة[3] (لزمها وأبطأ والمخلد من الرجال هو الذي تبطئ مشيته ، ومن الدواب الذي تبقى ثناياه إلى أن تخرج رباعيته) وقال الزّجاج[4] : وأخلد وخلّد وأصله من الخلود وهو الدوام والبقاء ، يقال فلان أخلد ولاذ بالمكان إذا قام به) قال مالك بن نويرة :

بأبناء حـي مـــن قبائل مالــك وعمرو بن يربوع أقاموا وأخلدوا

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾[5] أي قد خلقوا للبقاء لذلك لا يتغيرون ولا وهم على سن[6] واحد أبداً[7] وقيل[8] المقرطون في آذانهم والمسورون في أيديهم[9]

---

(١) سبق تعريفه انظر الطرطبي : ٣٢٢/٧ والطبري : ١٢٧/٩ .

(٢) مقاتل : هو ابن سليمان البلخي ت ١٥٠ ويعد من أئمة المفسرين . للاستزادة انظر الزركشي / البرهان جزء (٢) ص ١٥٨/١٥٩ .

(٣) أبو عبيده هو عامر بن عبد الله بن الجراح أحد العشرة المبشرين بالجنة توفي بالطاعون . انظر الطبري : ١٢٨/٩ .

(٤) الزجاج : هو إبراهيم بن سري بن سهل أبو اسحق الزجاج عالم النحو واللغة له تفسير يسمى (معاني القرآن) ولد سنة ٤١ هـ وتوفي سنة ٣١١ هـ . البغوي : ٣١٥/٢ والرازي : ٥٦/١٥ وزاد المسير : ٢٩٠/٣ .

(٥) سورة الواقعة الآية : ١٧ ك .

(٦) في [ت] و[ث] : على ذلك .

(٧) زاد المسير : ١٣٦/٨ .

(٨) في [ت] و[ث] : هم المقرطون .

(٩) زاد المسير : ١٣٦/٨ .

وأصحاب هذا القول فسروا اللفظ ببعض لو امزمها ، وذلك إشارة[1] إلى تخليد على ذلك السن فلا ينافي[2] القولين ، وقوله : ﴿ واتبع هواه ﴾ [3] ، قال الكلبي[4] : (اتبع مسافل الأمور وترك معاليها) وقال أبو روق [5] : (اختار الدنيا على الآخرة) وقال عطاء[6] : (أراد الدنيا على الآخرة) وقال : (واطاع الشيطان) وقال ابن زيد [7] : (كان هواه مع القوم يعني الذين حاربوا موسى عليه الصلاة والسلام وقومه) وقال يمان : (اتبع امرأته لأنها هي التي حملته على ما فعله) [8] ، فأن قيل : الإستدراك بلكن يقتضي أن يثبت بعدها نفي[9] ما قبلها أو ينفي ما أثبت كما تقول :

---

(١) في [ب] و[ت] : إمارة التخليك .

(٢) في [ب] و[ت] : فلا تنساقي بين القولين .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٧٦ ك .

(٤) الكلبي : هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي وهو معروف بالتفسير وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أتبع فيه كان إماماً بالتفسير والاثباتات سنة ١٤٦هـ . للاستزادة انظر ميزان الاعتدال جزء (٣) ص ٦١ . انظر الكشف والبيان ص ١٣١ .

(٥) الكشف والبيان ١٣١ / أبو روق وهو عطية بن الحارث الكوفي ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة في الكوفيين وقال : هو صاحب التفسير انظر الطبقات : ٣٦٩/٦ .

(٦) انظر البغوي : ٣١٥/٢ .

(٧) انظر زاد المسير : ٢٩٠/٣ والبغوي : ٣١٥/٢ .

(٨) انظر الكشف والبيان : ١٣١ . وفتح القدير : ٢٦٥/٢ .

(٩) في [ب] و[ت] و[ث] : يثبت بعدها ما نفي قبلها .

لو شئت لاعطيته لكني لم أعطه ولو شئت لكني فعلته فالاستدراك يقتضي (ولو لرفعناه) بها ولكننا لم نشأ أو فلم ترفع ولكنه أخلد [1] فكيف استدرك بقوله : ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ بعد قوله ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ [3] ، قيل هذا الكلام الملحوظ فيه المعنى المعدول فيه عن مراعاة الألفاظ إلى المعاني وذلك أن مضمون قوله : ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ [4] أنه لم يتعاط الأسباب التي تقتضي رفعه بالآيات من آثار الله ومرضاته على هواه ولكنه آثر الدنيا وأخلد إلى الأرض وأتبع هواه وقال الزمخشري [5] : (المعنى ولو لزم آياتنا لرفعناه بها فذكر المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه قال : ألا ترى إلى قوله ﴿ ولكنه أخلد ﴾ فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب أن تكون ﴿ لو شئنا ﴾ في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهرة لوجب

---

(١) ليست في [ت] و[ث] .
(٢) الأعراف الآية : ١٧٦ ك .
(٣) سورة الأعراف الآية : ١٧٦ ك .
(٤) سورة الأعراف الآية : ٣٦ ك .
(٥) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨ هـ ـ ١١٤٤ م ولد في خوارزم ولقب بجار الله إذ كان أقام بمكة لمدة وكان عالماً كبيراً وإماماً في اللغة والنحو والتفسير . وله كتاب (الكشاف) في تفسير القرآن وغيرها . وانظر الكشاف : ١/٥٨٧ .

أن يقال ، ولو شئنا لرفعناه ، ولكنا لم نشأ . فهذا [1] منه شنشنه تعرفها من قَدري نافٍ للمشيئة العامة مبعد للنجعة في جعل كلام الله معتزلياً قدرياً .

فأين قوله : ﴿ ولو شئنا ﴾ من قوله ولو لزمها ثم إذا كان اللزوم لها موقوفاً على مشيئة الله وهو الحق بطل أصله ،وقوله : إن مشيئة الله تابعة للزومه لآياته ، تابعة لمشيئة الله عزَّ وجل ، فمشيئة الله سبحانه متبوعة لإتباعه ، وسبب لا مسبب ، وموجب مقتضى لا مقتضي [2] فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [3] وهذا من أحسن القياس التمثيلي فأنه

---

(١) كنا قد أشرنا في الفصل ص ١٧٤ باب الاقتباس عند ابن القيم أنه ـ رحمه الله ـ كان يكثر من الاستشهاد بآراء غيره وهنا نراه يثبت حرفياً رأي الزمخشري . للاستزادة انظر تفسير الكشاف ص ١٣١ جزء (٢) .

(٢) [ب] و[ث] : يقتض لا يقتض .

(٣) سورة الحجرات الآية : ١٢ م .

ـ قال الزمخشري (رحمه الله) : يقال جنبه الشر إذا أبعده عنه ، وحقيقته جعله منه في جانب فتعدي إلى مفعولين : قال تعالى : ﴿واجنبني

شبّه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه ، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت ، ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه بنفسه يكون غائباً عن ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتناصر معلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن كان ذلك نظير [1] تقطيعه لحم أخيه ، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه ، ولما كان المغتاب متفكهاً [2] بغيبته وذمه متحلياً بذلك شُبِّهَ بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه ولما كان المغتاب محباً لذلك معجباً به شبّهه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتاً ، ومحبته لذلك ، قدر زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه فتأمل هذا التشبيه والتمثيل ، وحسن موقعه ، ومطابقته المعقول فيه للمحسوس ، وتأمل أخباره عنهم بكراهة آكل لحم الأخ ميتاً ، ووصفهم بذلك في آخر الآية والإنكار عليهم أولها أن يحب أحدهم ذلك ، فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره فاحتج عليهم بما كرهو على ما أحبوه ،

= وبني أن نعبد الأصنام﴾ثم يقال في مطاوعة اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولاً ، والمأمور اجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله تعالى (إن بعض الظن أثم .

للاستزادة انظر تفسير الكشاف للزمخشري ص ٥٦٧ جزء (٣) .

(١) في [ب] و[ث] : بمنزلة .

(٢) [ت] متمتعـاً بعرض أخيه وفي [ب] مستمتعاً .

وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه ، فهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكون أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه [1] وبالله التوفيق .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ [2] .

---

(١) في [ب] و[ث] : شبيهة .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ١٨ ك .

ـ يقول الزمخشري (رحمه الله) : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم﴾ . والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله ﴿ أعمالهم كرماد﴾ جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل ـ أعمالهم كرماد ـ ويجوز أن يكون المعنى : مثل أعمال الذين كفروا بربهم ، أو هذه الجملة خبر للمبتدأ . أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد ﴿ في يوم عاصف﴾ جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح وأعمال الكفرة : المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وإغاثة الملهوف ، شبهها في هبوطها وذهابها .. هباء منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجه برماد طيرته الريح العاصف ﴿ لا يقدرون﴾ يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له أثراً من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب . انظر تفسير الزمخشري جزء (٢) ص ٣٧٢ .

فشبّه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع[1] بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف فشبه سبحانه اعمالهم فيه هبوطها وذهابها باطلاً كالرماد المنشور على غير أساس من الإيمان والإحسان وكونها لغير الله عزّ وجل وعلى غير أمره برماد طيّرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه ، فلذلك لا يقدرون مما كسبوا على شيْء ، لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء فلا يرون لها[2] أثراً من ثواب ولا فائدة نافعة فأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه موافقاً لشرعه ، والأعمال أربعة : فواحد مقبول وثلاثة مردودة[3] ، فالمقبول : الخالص الصواب ، فالخالص أن يكون لله لا لغيره والصواب أن يكون مما شرعه على لسان رسولهﷺ والثلاثة المردودة ما خالف ذلك وفي تشبيهها بالرماد سرّ بديع .

وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا فكانت الأعمال التي لغير الله عزّ وجلّ على غير مراده طعمة للنار وبها تُسَعّر النار على أصحابها

(١) في الأصل الانتفاح .
(٢) [ب] و[ت] : له .
(٣) في الأصل مرذودة .

وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره[1] التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيماً أبدياً فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رماداً فهم وما يعبدون من دون الله وقود النار [2] .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون﴾[3] فشبّه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة

---

(١) [ت] و[ث] : لأمره ونهيه .

(٢) انظر الدر المنثور : ٧٤/٤ والخازن : ٣٧/٤ .

(٣) سورة إبراهيم الآية : ٢٤ ك .

ـ قال الزمخشري :﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً﴾ اعتمد مثلاً ووضعه ﴿ كلمة طيبة﴾ نصب بمضمر : أي جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله .

﴿ ضرب الله مثلاً﴾ ويجوز أن ينتصب مثلاً وكلمة بضرب : أي ضرب كلمة طيبة مثلاً بمعنى جعلها مثلاً . ثم قال : كشجرة طيبة ـ على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة (أصلها ثابت) يعني في الأرض ضارب في عروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (في السماء).

للاستزادة أنظر تفسير الكشاف جزء (٢) ص ٣٧٦ .

تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون : « الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله »[1] فأنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة ، فكل عمل صالح مرضي لله عزّ وجل ثمرة هذه الكلمة . وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما[2] قال : كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله وكشجرة طيبة وهو المؤمن أصلها ثابت قول[3] لا إله إلا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء وقال الربيع ابن أنس[4] « كلمة طيبة هذا مثل الإيمان والإيمان الشجرة الطيبة وأصلها الثابت الذي لا يزول الاخلاص فيه وفرعه في السماء خشية الله والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن » .

فأن سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علواً التي لا تزال تؤتي ثمرها كل حين وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت ، بحسب ثباتها في القلب ، ومحبة القلب لها ،

---

(١) انظر الطبري ١٣/٢٠٣ ، والبغوي ٤/٤٠ ، والدر المنثور ٤/٧٥ .
(٢) انظر ابن كثير ٢/٥٣٠ ، والطبري ١٣/٢٠٣ .
(٣) في الطبري وابن كثير (يقول) .
(٤) انظر ابن جرير ١٣/٢٠٣/٢٠٤ .

واخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها[1] ومراعاته حق رعايتها فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها ، وانصبغ بها بصبغة الله[2] التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الهيئة[3] التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله عزّ وجلّ وواطأ[4] قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربها[5] ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً كما لا ينبغي[6] سوى معبوده الحق بدلاً فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرها من العمل الصالح الصاعد إلى الله تعالى وهذه الكلمة الطيبة ، تثمر كثيراً طيباً كلما[7] يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلمم الطيّب كما قال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[8] فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع

---

(١) [ت] و[ث] : بحقوقها .

(٢) مقتبسة من قوله تعالى : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ سورة البقرة الآية : ١٣٨ م .

(٣) [ت [: الإلهية و[ب] : الآلهة .

(٤) [ب] : وافق .

(٥) في الأصل ربه والأصوب ربها .

(٦) في الأصل ينبغي والأصوب يبتغي .

(٧) [ب] و[ت] : تثمر كلما كثير طيبا .

(٨) سورة فاطر الآية : ١٠ .

الكلم الطيب ، واخبر أن الكلمة [1] الطيبة تثمر لقائلها كل وقت عملاً صالحاً لكل وقت .

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها عارفاً بمعناها وحقيقتها نفياً وإثباتاً متصفاً بموجبها قائماً قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته ، فهذه الكلمة [2] من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء وهي مخرجة لثمرها كل وقت ومن السلف من قال : « إن الشجرة الطيبة هي النخلة » [3] ويدل عليه حديث ابن عمر [4] الصحيح [5] ومنه من قال : « هي المؤمن

---

(١) في الأصل الكلم الطيبة فاصبغنا الثاء في آخرها .
- يقول الزمخشري رحمه الله - والكلم الطيب - لا إله إلا الله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : يعني أن هذه الكلم الطيب لا تصعد ولا تقبل في السماء حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل -(إن كتاب الأبرار لفي عليين) - إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فيرفعها ويصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع هو الله عز وجل والمرفوع العمل .. للاستزادة انظر تفسير الكشاف ص ٣٠٢ جزء (٢) .

(٢) [ت] : فهذا الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد .

(٣) انظر الطبري ١٣/٢٠٤ ، والبغوي ٤/٤٠ ، وزاد المسير ٤/٣٥٨ .

(٤) هو عبد الله ابن عمر الخطاب الصحابي الجليل / انظر الإصابة ص ٢/١٣٣ .

(٥) انظر البخاري ١/١٣٠ . ومسلم ٤/٢١٦٥ وهذا نصه (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم حدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله : وقع في نفسي أنها النخلة .. الحديث...

نفسه كما قال محمد ابن سعد[1] حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عبّاس قوله : ﴿ الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾[2] « يعني بالشجرة الطيبة المؤمن ويعني بالأصل الثابت في الأرض والفرع في السماء يكون المؤمن يعمل في الأرض ، ويتكلم فيبلغ قوله وعلمه السماء وهو في الأرض[3] وقال عطية[4] العوفي في ﴿ ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ [5] قال : « ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح فيصعد إلى الله » وقال : الربيع ابن انس[6] : ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ قال : ذلك المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له قال : ﴿ أصلها ثابت ﴾ قال : أصل عمله ثابت في الأرض ﴿ وفرعها في السماء ﴾ قال : ذكره في السماء ، ولا اختلاف بين القولين ، فالمقصود بالمثل المؤمن ، والنخلة مشبهة به ، وهو مشبه بها ،

(١) محمد بن سعد الحافظ كاتب الواقدي وصاحب الطبقات ومؤرخ ثقة حافظ ولد في البصرة . للاستزادة انظر .
ـ شذرات الذهب جزء (٢) ص ٦٩ وتهذيب التهذيب جزء (٩) ص ١٨٢ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٢٤ ك .

(٣) ابن جرير ٢٠٤/١٣ .

(٤) عطية العوفي توفي سنة ١١١ هـ وهو ممن روى عن أبي هريرة وطائفه من الرواة ، ضربه الحجاج أربعمائة سوط على أن يشتم علياً فلم يفعل . وهو ضعيف الحديث . انظر شذرات الذهب جزء (١) ص ١٤٤ .

(٥) ابن جرير ٢٠٤/١٣ .

(٦) سبق تعريفه .

وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها ، أولى أن يكون كذلك ، ومن قال من السلف : « انها شجرة في الجنة »[1] ، فالنخلة من أشرف أشجار الجنة وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق[2] ويقتضيه علم الذي تكلم به سبحانه وحكمته ، فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من فروع وعروق (وساق وفروع)[3] وورق وثمر ، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به فعروقها العلم والمعرفة واليقين وساقها الإخلاص وفروعها الأعمال وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى والدل[4] المرضي فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب في ثبوتها فيه بهذه الأمور فإذا كان العلم صحيحاً مطابقاً لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به ، والاعتقاد مطابقاً لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، والإخلاص قائم في القلب ، والأعمال موافقة للأمر والهدى والدل والسمتْ مشابهة لهذه الأصول مناسبة[5] لها ، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة

---

(١) الخازن والبغوي ٤/٤٠ / وابن كثير ٢/٥٣٠ .

(٢) [ب] و[ت] : يليق به .

(٣) زائدة في [ب] و[ت] و[ث] .

(٤) زائدة في [ب] و[ت] .

(٥) في الأصل تكرار لفظة (مناسبة) فأسقطنا الثانية .

الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، ومنها : أن الشجرة لا تبق حية إلا بمادة تسقيها وتنمّيها ، فإذا انقطع عنها السقي أوشكت أن تيبس ، وهكذا شجرة الإسلام[1] في القلب إن لم يتعدها صاحبها بسقيها كل وقت ، بالعلم النافع والعمل الصالح ، والعودة بالتذكر على التفكر ، والتفكر على التذكر ، وإلا أوشكت أن تيبس ، وفي مسند الإمام أحمد[2] من حديث أبي هريرة[3] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الإيمان يخلق في القلب كما يخلق الثوب فجددوا[4] أيمانكم) ، وبالجملة فالغرس إن لم يتعهده[5] صاحبه أوشك أن يهلك ومن هنا يعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات ، وعظيم رحمته ، وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده ، بأن وضعها عليهم وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد ، الذي غرسه في قلوبهم ، ومنها : أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله

---

(١) [ب] : شجرة الإيمان .

(٢) الإمام أحمد ابن حنبل المحدث الفقيه له كتاب المسند .

(٣) أبو هريرة / هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي أسلم سنة سبع ولزم صحبة النبي ﷺ وكان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له توفي سنة ٩٥ هـ . للاستزادة انظر كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي تحقيق محمد الصباغ . المكتب الإسلامي / بيروت .

(٤) ورد هذا الحديث في معجم الطبراني وفي المستدرك للحاكم وهو حديث حسن .

(٥) (لم) تكن في الأصل اثبتناها ليستقيم المعنى .

سبحانه العادة (أنه)[1] لا بدّ أن يخالطه دغل ونبت غريب ليس من جنسه ، فإن تعهده ربه ونقّاه وقلبه ، كمل الغرس والزرع واستوى وتم نباته ، وكان أوفر لثمرته وأطيب وأزكى وإن تركه أوشك أن يغلب على الغرس والزرع ، ويكون الحكم له أو يضعف الأصل ، ويجعل الثمرة ذميمه ، ناقصة بحسب كثرته وقلته ومن لم يكن له فقه نفيس [2] في هذا ومعرفته به فإنه يفوته ربح [3] كثير وهو لا يشعر ، فالمؤمن دائم سعيه في شيئين [4] سقي هذه الشجره وتنقية ما حولها فبسقيها[5] فتبقى وتدوم وبتنقية ما حولها تكمل وتتم والله المستعان وعليه التكلان . فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم ولعلّها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقعة وقلوبنا المخبطة[6] وعلومنا القاصرة وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار . وإلا فلو طهرت منا القلوب وصفت الأذهان وزكت النفوس وخلصت الأعمال وتجردت الهمم للتلقي عن الله تعالى ورسوله ﷺ لشاهدنا من معاني الكلام[7] الله عزّ وجلّ وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده

---

(١) [ت] : خفة في نفس هذا .

(٢) في [أ] : يقيس وفي [ت] : فقة نفس وفي [ب] : فقة في نفس هذا . والأصح (يقيس) .

(٣) زائدة في [ب] و[ت] .

(٤) في [ب] : شأن سقى .

(٥) الفاء زائدة ولم تكن في الأصل [أ] .

(٦) والأصح المخطئة وفي [أ] و[ب] المخطئة وفي [ت] المخبطة .

(٧) والأصح اسقاط (ال) .

العلوم وتتلاشى عند معارف الحق وبهذا يعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم رضي الله عنهم وإن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل ، والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يختص برحمته .

فصل

ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار [1] فلا عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة زاكية ولا ظل ولا جنى ولا ساق قائم ولا عرق في الأرض ثابت فلا أسفلها مغدق ولا أعلاها مونق ولا جنى لها ولا تعلو بل تعلي وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم [2] وجده كذلك فالخسران كل الخسران [3] الوقوف معه والاشتغال به أفضل الكلام وانفعه قال الضحاك [4] : (ضرب الله مثلاً) للكافر بشجرة اجتثت من الأرض ما لها من قرار يقول : « ليس لها أصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة كذلك للكافر ليس يعمل خيرا ولا يقوله ولا

---

(١) مزيدة من [ت] و[ث] .

(٢) [ت] : وكسبهم .

(٣) الخسران الثانية ساقطة في [ت] .

(٤) ـ الضحاك : هو ابن مزاحم الهلالي مولاهم الخراساني روى عن بعض الصحابة وأخذ عنهم العلم وثقة أحمد وابن معين وأبو زرعة وكان له شهرة بالتفسير توفي سنة ١٠٥ هـ .

يجعل الله فيه بركة ولا منفعة » وقال ابن عباس[1] : « ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة يعني الكافر اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » .

ويقول الشرك : ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ولا يقبل الله عمل المشرك ولا يصعد إلى الله فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء يقول : ليس له عمل صالح في السماء ولا في الآخرة وقال الربيع ابن انس[2] : « مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض ولا يصعد إلى السماء » وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية : « إن رجلاً لقي رجلاً من أهل العلم فقال له : ما تقول في الكلمة الخبيثة قال : لا أعلم لها في الأرض مستقراً ولا في السماء مصعداً إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي به يوم القيامة . وقوله اجتثت أي : استؤصلت من فوق الأرض ثم أخبر سبحانه عن فضله وعدله في الفريقين أصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث فأخبر أنه يُثبّت الذين آمنوا بالقول الثابت أحوج ما يكونوا إليه في الدنيا والآخرة وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت فأضل هؤلآء بعدله لظلمهم ، وثبت المؤمنين بفضله ، لإيمانهم وتحت قوله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾

(١) الطبري ٢١٣/١٣ ، وزاد المسير ٣٦٠/٤ .
(٢) الطبري ٢١٣/١٣ .

وقف عليه لمظنته [1] وأحسن استخراجه واقتناءه [2] وانفق منه فقد غنم ومن حرمه فقد حرم ، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما ، وقد قال تعالى لاكرم خلقه عليه ، عبده ورسوله ﷺ : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ [4] وفي الصحيحين من حديث التجلي قال : « وهو يسألهم ويثبتهم » [5] وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ [6] فالخلق كلهم قسمان : موفق بالتثبيت ومخذول بترك التثبيت ، ومادة التثبيت وأصوله ومنشأه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد فيهما يثبت الله عبده فكل

---

(١) في [ب] و[ت] : من وقف لمظنته وفي [أ] : لظنته .

(٢) في [ب] : واقتناه .

(٣) سورة الأسراء الآية : ٧٤ .

(٤) سورة الأنفال الآية : ١٢ .

- يقول الزمخشري (ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا ﴿لقد كنت تركن إليهم﴾ لقاربت أن تميل إلى خداعهم ومكرهم وهذا تثبيت من الله وفضل وفي ذلك لطف للمؤمنين .

- ﴿ إذ يوحي﴾ يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من إذا يسعدكم وأن ينتصب بيثبت ﴿ أني معكم﴾ مفعول يوحي ، إني معكم على التثبيت فثبتوهم . انظر الكشاف ص ٤٦٠ جزء (٢) .

(٥) انظر سنن الترمذي ٤/٦٨٩/٦٩٠ .

(٦) سورة هود الآية : ١٢٠ .

ما كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً قال تعالى : ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾ (١) فأثبت الناس قلباً اثبتهم قولاً والقول الثابت هو القول الحق والصدق ، وهو ضد القول الباطل الكذب فالقول نوعان : ثابت له حقيقة ، وباطل لا حقيقة له ، واثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها ، فهي أعظم ما يثبّت الله بها عبادة في الدنيا والآخرة ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس واشجعهم قلباً ، والكاذب من أمهن الناس واخبثهم وأكثرهم تلوياً وأقلهم ثباتاً (٢) وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاختبار وشجاعته ومهابته ويعرفون (٣) كذب الكاذب بضد ذلك .

ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به فقال : « والله ما فهمت منه شيئاً إلا أني سمعت لكلامه صولة مبطل فما منح العبد منحه أفضل من منحه

---

(١) سورة النساء الآية : ٦٥ .

- يقول الزمخشري - رحمه الله - ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ من اتباع رسول الله ﷺ ، وطاعته والإنقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﴿لكان خيراً لهم﴾ في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتاً لإيمانهم وابعد من الاضطراب فيه .

انظر الكشاف جزء (١) ص ٥٣٩ .

(٢) في [ب] : واجبنهم وأكثرهم تلوماً وفي [ت] : اجبنهم وأكثرهم تلوناً .

(٣) مزيدة من [ت] و[ب] و[ث] .

القول الثابت » ، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ، ويوم معادهم كما في صحيح[1] مسلم من حديث البراء[2] بن عازب عن النبي ﷺ : أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر[3] وقد جاء (هذا)[4] مبيناً في أحاديث صحاح فمنها ما في المسند من حديث داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد[5] قال : « كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال يا أيها[6] الناس إن هذه الأمة تبتلي في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده فقال : ما تقول في هذا الرجل ؟فأن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

(١) للحافظ الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفي سنة ٢٦١ هـ صنف كتاب الصحيحين من الكتب الستة انظر هدية العارفين جزء (٦) ص ٤٣١ .

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري أبو عمارة أول من شاهد أحد وقيل الخندق والفتح إلى سنة أربع وعشرين من قول ابن عمر والشيباني وشهد موقعة الجمل وصفين انظر كتاب تجريد أسماء الصحابة جزء (١) ص ٤٦ للذهبي .

(٣) مسلم ٢٢٠١/٤ ، ٢٢٠٢ ،

(٤) مزيدة في [ب] و[ت] .

(٥) الحديث الأول في صحيح مسلم / جنة ٧٣/٧٤ .
ـ سنن النسائي / جنائز ١١٤ ، سنن ابن ماجة / زهد ٣٢ .

(٦) الحديث الثاني (يا أيها الناس ...) صحيح مسلم / جنة ٦٧ .
ـ مسند أحمد بن حنبل ٢٣٣/٣ .

فيقول له صدقت فيفتح له باب إلى النار فيقال له هذا منزلك لو كفرت بربك فأما إذا آمنت فإن الله ابد لك به هذا ثم يفتح له باباً إلى الجنة فيريد أن ينهض له فيقال له : اسكن ثم يفسح له في قبره وأما الكافر والمنافق فيقال له ما تقول في هذا الرجل فيقول : لا أدري فيقال لا دريت ولا اهتديت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذا كفرت فإن الله أبدلك به هذا ثم يفتح له باب إلى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعه يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين » [1] قال بعض أصحابه : يا رسول الله ما منا من أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق الأهيل عند ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾[2] وفي المسند[3] من حديث البراء ابن عازب [4] وروى المنهال عن عمرو بن زادان عن البراء قال : قال : رسول الله ﷺ وذكر فيض روح المؤمن فقال : يأتيه

---

(١) صحيح مسلم جنة ٦٧/ ومسند أحمد بن حنبل ٤٢٣/٣ ، والطبري ٢١٤/١٣ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٢٧ .
ـ (ويثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت) الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه . للاستزادة انظر تفسير الكشاف ص ٣٧٧ جزء (٢) .

(٣) مسند الإمام أحمد رضي الله عنه جزء (٤) ص ٢٧٤ .

(٤) سبق تعريفه .

آت ـ يعني في قبره ـ فيقول : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ قال فينهره فيقول ما ربك وما دينك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ فيقول : (ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ فيقال له صدقت)[1] وهذا حديث صحيح وقال حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو وعن أبي سلمة عن أبي هريرة[2] قال رسول الله ﷺ : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ قال : إذا قيل له في القبر : من ربك وما دينك فيقول : ربي الله وديني الإسلام ، ونبي محمد ، جاءنا بالبينات . من عند الله ، فأمنت وصدقت فيقال له : صدقت على هذا عشت وعليه مت ، وعليه تبعث[3] وقال الأعمش[4] عن المنهال ابن عمرو عن ذادان عن البراء ابن عازب قال : قال : رسول الله ﷺ وذكر قبض روح المؤمن قال : « فترجع روحه في

(١) سنن أبي داود سنّه ٢٤ / مسند الإمام أحمد بن حنبل جزء (٢) ص ٢٩٦ .
(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي أسلم سنة سبع ولزم صحبة النبي وكان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث توفي سنة ٩٥ هـ / انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني جزء (٤) ص ٢١١/٢٠٢ .
(٣) سنن النسائي / كتاب الجنائز ١١٤ ، مسند الإمام أحمد ٤/٣ .
(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء أبو محمد الملقب بالأعمش تابعي مشهور أصله من بلاد الري . منشأه ووفاته بالكوفة . انظر وفيات الأعيان جزء (١) ص ٢١٣ .

جسده ويبعث إليه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينهرانه . ويقولان من ربك ؟ فيقول : الله ، وما دينك ؟ فيقول : الإسلام . فيقولان ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم فيقول : محمد رسول الله . قال : فيقولان له : وما يدريك ؟ قال : يقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقت ، وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾[1] رواه ابن حبان[2] في صحيحه والإمام أحمد[3] وفي صحيحه أيضاً من حديث أبي هريرة يرفعه قال : (إن الميت[4] ليسمع خفق نعالهم يولوّن عنه مدبرين فإذا كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه ، وكان الصيام عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ، فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ما قبلي مدخل فيؤتى عن يساره

(١) سورة إبراهيم الآية : ٢٧ .

(٢) صحيح ابن حبان ، ابن حاتم محمد بن حيان البستي المتوفي سنة ٣٥٤ انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ص ١٠٧٥ جزء (٢) ، انظر المسند : ٤/٢٨٧ . ٢٨٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) يشتمل على ثلاثين ألف حديث وهو كتاب جليل من جملة كتب أصول الإسلام وقد وقع له فيه نيفاً عن ثلثمائة حديث ثلاثية الأسناد . انظر كشف الظنون جزء (٢) ص ١٦٨٠ .

(٤) صحيح مسلم جنه ٧١ / صحيح بخاري جنائز ٦٧ .
سنن أبي داود سنة ٢٤ .
مسند أحمد بن حنبل ٣/٢٣٣/٣٤٧/٤٤٥/٤/٢٩٦ .

فيقول الصيام : ما قبلي مدخل فيؤتى من عند رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس ما قبلي مدخل ، فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له : أخبرنا عمّا نسألك فيقول وعم تسألوني ؟ عنه فيقول : دعوني حتى أصلي فيقال أنك ستفعل فاخبرنا عما نسألك فيقول وعمّ تسألوني فيقال له أرأيت هذا الرجل الذي بعث فيكم ماذا تقول فيه وما تشهد به عليه ؟فيقول : محمد ﷺ فيقولون : نعم فيقول : أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينّور له فيه ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال : انظر إلى ما أعدّ الله لك فيها فيزداد غبطة وسروراً ، ثم يجعل نسمته في النسم الطيبة ، وهي طير خضر ، تعلق بشجر الجنة فيعاد الجسد إلى ما بدا منه من التراب[١] ذلك قول الله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[٢] ولا تستطل هذا

(١) صحيح البخاري / الجنائز ٨٧ . صحيح مسلم / جنه / ٧٠ .
ـ سنن الترمذي / جنائز ٧٠ ومسند الإمام أحمد /٣/٤/١٢٦/٤/٢٨٧
(٢) سورة إبراهيم الآية : ٢٧ . والحديث من المسند جزء (٤) /٢٨٧/٢٨٨ .
ـ ففي قوله تعالى :﴿يثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ يعني كلمة الإيمان (وفي الآخرة) قال ابن عباس والبراء بن عازب هي المسألة في القبر إذا أتاه الملك فقال له : من ربك وما دينك ؟ فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ . فقال قوم / معنى ﴿يثبت =

الفصل المعترض فالمفتي والشاهد والحاكم بل وكل مسلم أشد ضرورة إليه من الطعام والشراب والنفس وبالله التوفيق .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خَرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[1] فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلق بغيره ونحو ذلك في هذا التشبيه أمران : أحدهما أن تجعله تشبيهاً مركباً ويكون قد تشبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب في هلاك نفسه هلاكاً لا يرجى معه نجاة فصوّر حاله بصورة

= الله الذين أمنوا بالقول الثابت في الحياة﴾ يعني الإيمان يثبتهم الله بثوابه في الجنة ويمدحهم فيها .

ـ للاستزادة انظر تفسير التبيان للطوسي جزء (٦) ص ٢٩٣ ، وانظر الطبري ١٣/٢١٥ ، والترغيب والترهيب ٤/١٢٥ ـ ١٢٦ .

(١) سورة الحج الآية : ٣٠ـ٣١ .

ـ قال الزمخشري : لما حث الله تعالى على تعظيم حرماته وحمد من يعظمها اتبعه باجتناب الأوثان وقول الزور ، لأن التوحيد غاية المعبود في الطاعة والإنابة إليه تعالى لذلك حض سبحانه وتعالى على اجتناب عبادة الأوثان وقول الزور وتجنبو الرجز بقوله تعالى ﴿رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾.

للاستزادة انظر تفسير الكشاف جزء ٣ ص ١٢ .

من خرّ من السماء فاختطفته الطير في الهوى فتمزق مزعاً[1] في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وعلى هذا لا ينظر إلى كل فرد من أفراد الشبه ومقابلته من المشبه به ، والثاني أن يكون من التشبيه المفرق فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به ، وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان[2] والتوحيد[3] في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه فمنها يهبط إلى الأرض وإليها يصعد منها وشبّه تارك الإيمان والتوحيد ، بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين ، من حيث التضييق الشديد والالام المتراكمة ، والطير الذي يخطف[4] أعضاءه ويمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه تؤزه إزاً وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه كما أن لكل طير مزعه من لحمه وأعضائه والريح التي

(١) [ب] : فتفرق مزقاً وفي [ت] : فتمزق مزقاً .

(٢) الأيمان : هو التصديق المقارن للثقة والطمأنانية القلب .
- للاستزادة راجع تفسير أبي السعود الموجود على هامش تفسير الرازي جزء (٧) ص ٧٥٧ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) .

(٣) التوحيد : هو أفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وهو دين الرسول الذي أرسلهم الله به إلى عبادته ، فأولهم نوح عليه السلام وآخرهم المصطفى محمد ﷺ .
- انظر كتاب كشف الشبهات في التوحيد لمحمد عبد الوهاب ص ٢٢٥ (والموجود ضمن كتاب الجامع الفريد) .

(٤) [ب] : والطير التي تتخطف .

تهوي به في مكان سحيق [١] هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذي تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدر الله حق قدره أن الله لقوي عزيز ﴾ [٢] حقيق على كل عبد أن يستمع [٣] لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع موارد [٤] الشرك [٥] من قلبه وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر [٦] على إيجاد

(١) سحيق . هو المكان البعيد بعيد الأغوار . ترتيب القاموس المحيط جزء (٢) ص ٥٣٠ .

(٢) سورة الحج الآية : ٧٣ .

ـ قال الزمخشري : فإن قيل الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً : قلت : قد سميت الصفة والقصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة .

ـ للاستزادة انظر تفسير الكشاف جزء (٢) ص ٥٣٠ .

(٣) [ب] و[ت] : يستمع قلبه .

(٤) [ب] و[ت] : مواد .

(٥) الشرك الضلال والغي والتمادي به . ترتيب القاموس المحيط . اشرك بالله كفر فهو مشرك ومشركي جزء (٢) ص ٧٠٤ .

(٦) القدرة : الغنى واليسار واليسر والقوة كالقدرة والمقدرة ـ مثلثة الدال =

ما ينفع عابده وإعدام ما يضره والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن[1] تقدر على خلق ذباب[2] ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه ، ولا يقدرون على الانتصار من الذباب ، وإذا سلبهم الذباب شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه ، فيستنقذونه منه فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان ، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما يسلبهم إياه ، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى ، وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم والشهادة على أن الشياطين[3] قد تتلاعب[4] بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة حيث أعطوا الالهية التي من بعض لوازمها القدرة[5] على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وأنْ يعمد[6] إلى الرب في جميع الحاجات

= والمقدار والقدارة والقدران بالكسر وهو قادر . ترتيب القاموس المحيط جزء (٣) ص ٥٧٠ .

(١) [ب] : لا تقدر .

(٢) [ت] : الذباب .

(٣) الشياطين : الشاطن الخبيث والشيطان / وكل عات متمرد من انس وجسن أو دابة . وشيطن وتشيطن جزء (٢) ص ٣٠٤ ترتيب القاموس المحيط .

(٤) [ب] و[ت] : إن الشيطان قد تلاعب بهم .

(٥) القدرة : الاستطاعة والتمكن . نفس المصدر ص ٣٠٤ جزء (٣) .

(٦) [ب] و[ت] : وأن يصمد .

وتفريج الكربات ، وإغاثة اللفهات ، وإجابة الدعوات ، فاعطوها صوراً وتماثيل تمتنع عليها القدرة على مخلوقات الآلهة[(١)] الحق وأذلها واصغرها وأحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه وأدلّ من ذلك على عجزهم وانتفاء الهتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئاً واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقدوه[(٢)] منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه ثم سوّى بين العابد والمعبود ، في الضعف والعجز بقوله ﴿ ضعف الطالب والمطلوب﴾ قيل : الطالب والعابد والمطلوب والمعبود[(٣)] فهو عاجز متعلق بعاجز وقيل : هو تسوية بين السالب والمسلوب وهو تسوية بين الآلهة والذباب ، في الضعف والعجز ، وعلى هذا[(٤)] فالطالب الإله : الباطل والمطلوب الذباب يطلب منه ما استنفذه[(٥)] منه وقيل الطالب الذباب والمطلوب الالهة[(٦)] ، فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليـه والصحيح أن اللفظ يتناول الجميـع

---

(١) [ب] : يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق وفي [ت] : أقل مخلوقات الآلهة .

(٢) يستنقذوه : يسترجعوه بإعادته كما كان . وهي الاستحالة بعينهـا ص ٥٠٣ جزء (٣) .

(٣) زاد المسير ٤٥٢/٥ . البغوي والخازن ٢٨/٥ .

(٤) [ب] و[ت] و[ث] : فقيل الطالب .

(٥) مع ما استلبه منه .

(٦) الطبري ٢٠٣/١٧ .

فضعف العابد والمعبود والمستلب [1] فمن جعل هذا الالهة مع القويّ العزيز فما قدره حق قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق عظمته [2] .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ [3] فتضمن هذا المثل ناعقاً أي مصّوتاً بالغنم وغيرها ومنعوقاً به [4] وهو الدواب ، فقيل الناعق العابد وهو الداعي الصنم ، والصنم هو المنعوق به المدعو وإن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه ، هذا قول طائفة منهم عبد الرحمن بن زيد [5] وغيره

(١) [ت] : مزيدة مكررة .

(٢) [ب] و[ت] : تعظيمه .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٧١ .

ـ ومثل داعي الذين كفروا ﴿ كمثل الذي ينعق﴾ أو مثل الذين كفروا كبهائم تنعق والمعنى : ومثل داعيهم إلى الإيمان لا يسمعون من الدعاء الأجرس النغمة وصدى الصوت من غير استبصار وإذعان كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الإدعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها لا تفقه شيء آخر ولا تعي ما يفهم العقلاء ويعون .

ـ للاستزادة راجع تفسير الكشاف جزء (٣) ص ٣٢٨ .

(٤) [ب] : ومنعوقاً .

(٥) هو عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي راوي الحديث =

واستشكل صاحب الكشاف[1] وجماعة معهم هذا القول وقالوا : قوله : ﴿الإدعاء ونداء﴾ لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع شيئاً لا دعآء[2] ولا نداءً وقد أجيب عن هذا الاشكال[3] بثلاثة أجوبة : أحدهما (أن) زائدة والمعنى بما لا يسمع دعاء ونداء قالوا : وقد ذكر ذلك الأصمعي في قول الشاعر [4] (جراجيج لا تنفك إلا مناخة)[5] أي ما تنفك مناخة وهذا جواب فاسد فإن (ألا) لا تزاد في الكلام .

الجواب الثاني : أن التشبيه وقع في مطلق الدعآء لا في خصوصات المدعو . الجواب الثالث : إن المعنى ، أن مثل هؤلاء في دعائهم الهتهم التي لا تفقه دعآءهم كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع بنعقته[6] بشيء غير أنه[7] في دعآء ونداء وكذا[8] المشرك

= عن أبيه . للاستزادة راجع تهذيب التهذيب جزء (٦) ص ١٧٩ .

(١) الكشـاف تفسير للعلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفي سنة ٥٣٨ فرغ من تأليفه سنة ٥٢٨ هـ . راجع كشف الظنون جزء (٢) ص ١٤٧٥ .

(٢) الكشاف ١/ ٢٥٠ .

(٣) [ب] : الاستشكال .

(٤) ديوان ذي الرمة ٣/ ١٤١٩ وانظر الموشح ١٨٢ .

(٥) وتمام البيت (على الخسف أو نرمي بها بلد أقفرا) .

(٦) [ت] و[ث] : من نعيقه بشيء وفي [ب] : من نعقه بغنمه .

(٧) [ت] : أنه هو في .

(٨) [ت] : وكذلك .

ليس له من دعائه وعبادته إلا العناء وقيل : المعنى ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقوله الراعي أكثر من الصوت فالراعي هو داعي الكفار والكفار هم البهائم ، المنعوت بهم المنعوق[1] قال سيبويه[2] المعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به وعلى قوله فيكون المعنى ومثل الذين كفروا وداعيهم[3] كمثل الغنم والناعق بها ، ذلك أن تجعل هذا من التشبيه المركب وأن تجعله من التشبيه المفرق . فأن جعلته من المركب كان تشبيهاً للكفار في عدم فقههم[4] وانتفاعهم بالغنم التي ينعق بها الراعي فلا تفقه من قوله شيئاً غير الصوت المجرد الذي هو الدعاء والنداء وإن جعلته من التشبيه المفرق فالذين كفروا بمنزلة البهائم ، ودعاؤهم إلى الطريق[5] والهدى بمنزلة النعيق وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء ، كإدراك البهائم مجرّد صوت الناعق والله أعلم .

---

(١) انظر امالي المرتض ٢١٨/٢١٥/١ .

(٢) الكتاب ١٠٩/١٠٨/١ ، والنص : إنما المعنى مثلكم .

(٣) [ب] : ودعائهم .

(٤) [ب] و[ت] : تفقههم .

(٥) كلمة (الطريق) غير موجودة في [ت] بل في [ب] و[أ] و[ث] .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾[1] شبّه سبحانه نفقة المنفق في سبيله سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير من كل بِرّ بمن بذر بذراً فانبتت كل حبة سبع سنابل ، اشتملت كل سنبلة ، على مائة حبة ، والله يضاعف[2] بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ، وتقع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها فأن ثواب الانفاق ، يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص (والتشبت)[3] عند النفقة وهو إخراج المال بقلب ثابت ، قد انشرح صدره باخراجه ، وسمحت به نفسه ، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده ، فهو ثابت القلب عند إخراجه ، غير جزع ولا هلع ، ولا متعبة نفسه ، ترجف يده وفؤاده ،

(١) سورة البقرة الآية : ٢٦١ .
ـ قال الزمخشري « قوله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون ﴾ لا بد من حذف مضاف : أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سبباً اسند إليها الأنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى ابناتها سبع سنابل أن تخرج ساقاً يتشعب منها سبع شعب لكل وحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف » .
للاستزادة انظر تفسير الكشاف ص ٣٩٣ جزء (١) .
(٢) [ت] : يضاعف لمن يشاء فوق ذلك بحسب وفي [ب] : لمن يشاء بحسب
(٣) زائدة في [ب] و[ت] و[ث] .

ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه وبحسب طيب المنفق وذكائه [1] .

وتحت هذا المثل من الفقه : إنه سبحانه شبّه الإنفاق بالبذر ، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره ، باذر ماله في أرض زكية مغلة بحسب بذره وطيب أرضه ، وتعاهد البذر بالسقي ونفي الدغل[2] والنبات الغريب عنه ، فإذا اجتمعت هذه الأمور ، ولم تحرق الزرع نار ولا لحقته جائحة[3] ، جاء أمثال الجبال وكان مثله كمثل حبة بربوة[4] . وهي المكان المرتفع الذي تكون الحبة فيه نصب [5] الشمس والرياح فتربى [6] الأشجار هناك اتم تربية فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر متتابع فروّاها ونمّاها فآتت أكلها ضعفيّ ما تؤتيه غيرها بسبب ذلك الوابل ، وإن لم يصبها وابل[7] فطل[8] مطر صغير القدر يكفيها لكرم منبتها ، تزكوا

(١) في [ت] : زكاته وفي [ب] : وزكائه .

(٢) الدغل : محركة : دخل من الأمر مفسد والشجر الكثير الملتف واشتباك النبت وكثرته ص ١٩٠ جزء (٢) ترتيب القاموس .

(٣) جائحة : الجوح الإهلاك والاستئصال كالاجاحة والاجتياح ومنه الجائحة للشدة المجتاحة للمال ترتيب القاموس ص ٥٥٢ جزء (١) .

(٤) بربوه : الربو والربوة والرابية . ما اترفع من الأرض جزء (٢) ص ٢٩٨ نفس المصدر .

(٥) [ب] : يكون في نصب الشمس [ت] .

(٦) [ب] : فتتزيّن .

(٧) الوابل : المطر الشديد القاسي العاتي جزء (٤) ص ٥٦٧ نفس المصدر .

(٨) فطل : المطر الضعيف جزء (٤) ص ٢٣٣ مادة طل نفس المصدر السابق .

على الطل ، وتنمي عليه ، مع أن في ذكر نوعي الوابل والطّل إشارة إلى نوعيّ الإنفاق ، الكثير والقليل ، فمن الناس من يكون انفاقه وابلاً ، ومنهم من يكون انفاقه طلا ، والله لا يضيع مثقال ذرّة فإن عرض لهذا[1] العامل ما يغرق أعماله ويبطل[2] حسناته ، كان بمنزلة رجل له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ، له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار ، فاحترقت فإذا كان يوم استيفاء الأعمال واحراز الأجور وجد[3] العامل عمله قد أصابه ما أصاب صاحب هذه الجنة فحسرته حينئذٍ أشد من حسرة هذا على جنته ، فهذا مثل ضربه الله سبحانه في الحسرة لسلب النعمة عند شدة الحاجة إليها مع عظم قدرها ومنفعتها ، والذي ذهبت عنه ، قد أصابه الكبر والضعف ، فهو أحوج ما كان إلى نعمته ، ومع هذا فلة ذرية ضعفآء لا يقدرون على نفعه ، والقيام في مصالحة بل هم في عياله[4] ، فحاجته إلى نعمته حينئذ أشد ما كانت له لضعفه وضعف ذريته ، فكيف يكون حال هذا إذا كان له بستان عظيم فيه من جميع الفواكه والثمر ، وسلطان ثمره أجمل الفواكه

---

(١) [ب] : هذا .

(٢) في [ب] و[ت] : يبطل حسناته .

(٣) في [ب] و[ت] : هذا العامل .

(٤) عياله : عال يعيل عيلاً ومعيلاً . افتقر فهو عائل ج عاله وعيل وعيلى كسكرى والأعم العيلة جزء (٣) ص ٣٥٨ نفس المصدر .

وانفعها ، وهو ثمر النخيل والأعناب ، فنخلة[1] يقوم بكفايته وكفاية ذريته ، فأصبح يوماً وقد وجده محترقاً كله كالصريم ، فأي حسرة أعظم من حسرته ، قال ابن عباس[2] : هذا مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عمره ، وقال مجاهد[3] : « هذا مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت وقال السدي[4] : « هذا مثل للمرائي في نفقته الذي ينفق لغير الله ينقطع عنه نفعها ، أحوج ما يكون إليها » وسأل عمر ابن الخطاب[5] الصحابة (رضي الله عنهم) يوماً عن هذه الآية فقالوا : « الله أعلم فغضب » عمر وقال : « قولوا نعلم أو لا نعلم » . فقال ابن عباس[6] : « في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين » ، قال : يا ابن أخي ولا تحصر نفسك قال : « ضرب مثل لعمل » ، قال لأي عمل ؟ قال : « لرجل غني يعمل بالحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق

---

(١) في [ب] و[ت] : فغله .

(٢) انظر الدر المنثور ١٠/٣٤٠ ، والطبري ٣/٧٦ .

(٣) انظر الطبري ٣/٧٥ . والدر المنثور ١/٣٤٠ .

(٤) السدي : هو إسماعيل بن عبد الرحمن ت ١٢٨ هـ تابعي حجازي الأصل سكن الكوفة . كان إماماً وعارفاً بالوقائع وأيام الناس / النجوم الزاهرة جزء (١) ص ٣٠٨ ، و- اللباب جزء (١) ص ٥٣٧ ، وانظر الطبري ٣/٧٥ . والدر المنثور ١/٣٤٠ . وزاد المسير ١/٣٢١ .

(٥) سبق التعريف به .

(٦) سبق التعريف به .

أعماله كلها »[1] . قال الحسن[2] : « هذا مثل قلّ والله أعلم من يعقله من الناس شيخ كبير ضعيف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان إلى جنته وأن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا » .

فصل

فإن عرض لهذه الأعمال من الصدقات ما يبطلها من المن[3] والأذى والرياء ، فالرياء يمنع انعقادها سبباً للثواب ، والمَن ، والأذى يبطل الثواب الذي كان سبباً له ، فمثل صاحبها وبطلان عمله كمثل صفوان وهو الحجر الأملس عليه تراب فأصابه وابل وهو المطر الشديد فتركه صلداً لا شيء عليه وتأمل جزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل ، به تعرف عظمه القرآن وجلالته فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي والمّانِ والمؤذي ، فقلبه في قسوته عن الإيمان والإخلاص (والإحسان)[4] بمنزلة الحجر فالعمل الذي[5] لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك

(١) انظر البخاري ٣/٧٨ .
(٢) انظر الطبري ٣/٧٧ .
(٣) المن : مَنّ عليه مَنّا ، أي أنعم واصطنع عنده صنيعة ومنحة ومنحه المن جزء (٤) ص ٢٨٨ نفس المصدر السابق .
(٤) زائدة في [ب]و[ت] و[ث] .
(٥) في [ب]و[ت] : الذي عمله لغير الله .

الحجر فقوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات[1] عند نزول الوابل ، فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلاء ، وكذلك قلب المرآئي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر ، فإذا نزل عليه وابل الوحي ، انكشف عنه ذلك التراب اليسير ، الذي كان عليه فبرز ما تحته حجراً صلداً لا نبات فيه ، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرآئي ونفقته لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه ، أحوج ما كان إليه وبالله التوفيق .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾[2] هذا مثل ضربه الله تعالى لمن انفق ماله في غير طاعته ومرضاتهفشبّه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبغون[3] به وجه الله وما

(١) في [ب] و[ت] : من النبات والثبات .
(٢) سورة آل عمران / الآية : ١١٧ / ١١٨ .
(٣) في [ب] و[ت] : يبتغون .

ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله وإتباع رسله (عليهم الصلاة والسلام) بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجوا نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد جداً، يحرق بردها ما يمرعليه من الزرع والثمار فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته. واختلف في الصّر فقيل: البرد الشديد[1] وقيل: النار[2]. قاله ابن عباس[3]. وقال ابن[4] الأنباري[5]: وإنما وصفت النار أنها صرّ لتصيبها عند الألتهاب. وقيل: الصرّ[6] الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها[7]. والأقوال الثلاثة متلازمة، فهو برد شديد محرق بيبسه للحرث كما تحرق النار. وفيه صوت شديد، وفي قوله: ﴿أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ تنبيه على أنه سبب اصابتها لحرثهم هو ظلمهم، فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلكت

(١) انظر الطبري ٤/٥٩، والبغوي ١/٤٠٨.
(٢) انظر ابن كثير ١/٣٩٧ واللسان مادة صر.
(٣) سبق التعريف به.
(٤) الأنباري: هو القاسم بن محمد بن بشار الأنباري أبو محمد له اهتمام بالأدب والاخبارسكن الأنبار. راجع مفتاح السعادة جزء (١) ص ١٤٦. وزاد المسير ١/٤٤٥.
(٥) في [ت]: ابن الأنباري.
(٦) قال الزمخشري: (الصر) الريح الباردة فإن قيل: فما معنى قوله ﴿كمثل ريح فيها صر﴾ فيه أوجه منها: أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرّه كما تقول بيد بارد على المبالغة... للاستزادة انظر تفسير الكشاف جزء (١) ص ٤٥٦/٤٥٧.
(٧) انظر القرطبي ٤/١٧٨، وفتح القدير ١/٣٧٤.

زرعهم وايبسته ، فظلمهم ، هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم واتلفتها .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمدلله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (١) هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد ، فالمشرك بمنزلة عبد تملكه جماعة (٢) مشتركين في

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٩ ك . ضرب سبحانه وتعالى المثل في هذه الآية الكريمة ليبين الفرق الكبير والبون الشاسع بين الخالص لجهة واحدة وبين مرتبط بجهات مختلفة ، كالموحد والمشرك والمخلص والمنافق ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (متشاكسون) مختلفون عسيرون أي متنازعون صعبة أخلاقهم : والشكس هو صعب الخلق جمعه (شكس) (سلما) خالصا . نعم لا يستوي المستقل والمشترك . فإن بينهما تفاوتاً عظيماً في السلوك والتصرف والإستقلال والمنزلة . فالمشرك منحط في هذه الأمور ونحوها عن الموحد ، والمنافق بعيد فيها كل البعد عن مقام المخلص ... للاستزادة انظر تفسير ابن كثير ص ١٥٨ جزء (٢) . وانظر تفسير الجلالين . وتفسير كتاب الأمثال في القرآن الكريم لمنير القاضي ص ٢٥ . وانظر تفسير الكشاف جزء (٣) ص ٣٩٧ .

(٢) في [ت] : جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون والرجل المتشاكس : الضيق الخلق .... وفي [ب] جماعة متنافسون في خدمته ...

خدمته لا يمكنه رضاهم أجمعين ، والموحد لما كان يعبد الله وحدة فمثله كمثل عبد رجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده (وعرف الطريق)[1] إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه مع رأفة مالكه به ، ورحمته له ، وشفقته عليه ، وإحسانه إليه ، وتوليته بمصالحه[2] فهل يستوي هذان العبدان ، وهذا من أبلغ الأمثال فأن الخالص لمالك واحد مستحق[3] من معونته وإحسانه والتفاته إليه ، وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين ، ﴿ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ .

فصل

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل أدخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ، ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا

(١) زائدة في [ب]و[ت] :
(٢) في [ب] و[ت] : توليته لمصالحه .
(٣) في [ب] و[ت] : تستحق .

وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾[1] فاشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثال : مثل للكافر[2] ومثلين للمؤمنين ، فتضمن مثل الكفار أن الكافر يعاتب على كفره وعداوته لله تعالى ورسوله (ﷺ) وأوليائه ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لُحمة نسب أو صلة صهر أو سبب[3] من سبب الاتصال ، فان الأسباب كلها[4] تنقطع يوم القيامة .

إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده على أيدي[5] رسله عليهم الصلاة والسلام فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة والنكاح

---

(١) سورة التحريم الآية : ١٠/١١ / م .
- ففي هذه الآيات الكريمة يبين سبحانه وتعالى أن كل امرىء مجزى بعمله وعليه ما اكتسب ، لا ينفعه أو يضره في ذلـك حسب أو نسب فما أوضح هذا المثل وأصدقه في ميزان الأعمال ، فإن الأعمال انفسها هي الموازين والمقاييس والمعايير لأنفسها ، لا دخل في هذا لشفيع ولا لصديق حميم (يا فاطمة بنت محمد اعملي فلن أغني عنك من الله شيئاً) .
- للاستزادة انظر تفسير ابن كثير وتفسير الجلالين وكتاب المثـل في القرآن الكريم لمنير القاضي ص ٢٧ . ابن كثير ص ٥٢٥ / جزء (٢) / .
- وتفسير الكشاف جزء (٤) ص ١٣٠/١٣١ .

(٢) في [ب] : للكافرين و[ت] : الكفار .

(٣) في [ب] و[ت] : أسباب .

(٤) زائدة في [ب] و[ت] و[ث] .

(٥) في [ب] : يد رسوله .

مع عدم الإيمان لنفعت الصلة[1] التي كانت بين نوح[2] ولوط[3] عليهما الصلاة والسلام وامرأتيهما فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل لهما أدخلا النار مع الداخلين فقطعت الآية حينئذ طمع من ارتكب معصية الله تعالى وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي .ولو كان بينهما في الدنيا أشد الاتصال، فلا اتصال فوق اتصال النبوة والأبوة الزوجية ولم يغن نوح عليه الصلاة والسلام عن ابنه ولا ابراهيم[4] عليه الصلاة والسلام عن أبيه ولا نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام عن امرأتيهما من الله شيئاً ، قال الله تعالى : ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم﴾[5] وقال تعالى : ﴿ يوم لا تملك نفس

(١) في [أ] الوصلة والصلة القرابة والتشابه ترتيب القاموس ص٢١٠ جزء (٢) .

(٢) نوح: أرسل الله نوحاً ليبلغ الرسالة إلى قومه وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة فلبث فيهم الف إلا خمسين عاماً / للاستزادة راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير جزء (١) ص ٣٩ .

(٣) في [ت] لوط ونوح .
ـ ولوط : أرسله الله إلى أهل سدوم وكانوا أهل كفر وفاحشة (لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين) وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله فكفروا بالله وكذبوه . فانتقم الله منهم وجعل عاليها سافلها . راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير جزء (١) ص ٧ .

(٤) ابراهيم لم يكن بينه وبين نوح إلا هو وهو نبي من أنبياء الله تبارك وتعالى راجع نفس المصدر .

(٥) سورة الممتحنة الآية : ٣ .

لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾(١) وقال تعالى : ﴿ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾(٣) وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة ، أن من تعلقوا به من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح أو صحبه تنفعهم يوم القيامة أو تجبرهم من عذاب الله تعالى ، أو تشفع لهم عند الله تعالى ، وهذا أصل ضلال بني آدم وشركهم وهو الشرك الذي لا يغفره الله ، وهو الذي بعث الله تعالى جميع رسله عليهم الصلاة والسلام ، وأنزل جميع كتبه بإبطاله ومحاربة أهله ومعاداتهم .

فصل

وأما المثلان اللذان للمؤمنين فاحدهما امرأة فرعون (٤) ووجه المثل : أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً إذا فارقه

---

(١) سورة الانفطار/الآية ١٩ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٢٣ .

(٣) سورة لقمان الآية : ٣٣ .

(٤) كل امرىء في هذه الحياة الدنيا مجزى بعمله ، له ما كسب وعليه ما اكتسب لا ينفعه أو يضره في ذلك حسب أو نسب .
﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فقيل ادخلا النار مع الداخلين . =

في كفره وعمله فمعصية العاصي لا تضر المطيع شيئاً في الآخرة وإن تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله عز وجل فتأتي عامه فلا يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما وهما رسولا رب العالمين. المثل الثاني للمؤمنين: مريم التي لا زوج لها، لا مؤمن ولا كافر فذكر ثلاثة أصناف النساء: المرأة الكافرة التي لها، وصلة بالرجل الصالح، والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر، والمرأة العزبة[1] التي لا وصلة بينها وبين أحد، فالأولى لا تنفعها وصلتها وسببها، والثانية لا تضرها وصلتها وسببها، والثالثة لا يضرها عدم الوصلة شيئاً[2] ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ، والتحذير من تضاهرهن

= وضرب الله مثلاً للذين أمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين، ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين.

ما أوضح هذا التمثيل وأصدقه في ميزان الأعمال، فإن الأعمال أنفسها هي في والموازين والمقاييس والمعايير لأنفسها، ولا دخل في هذا الشفيع ولا لصديق حميم (يا فاطمة بنت محمد إعملي فلن أغني عنك من الله شيئا.

انظر تفسير ابن كثير جزء (٣) ص ١٣٤ وكتاب الأمثال في القرآن الكريم لمنير القاضي ص ٢٧ وتفسير الكشاف جزء (٤) ص ١٣١.

(١) في [ب] و[ت] : العزب.

(٢) انظر تفسير الخازن : ١٢٣/٧.

عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ ولم يردن الدار الآخرة لن ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما ، ولهذا (١) ضرب لهما في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرآبة ، قال يحيى ابن سلام (٢) : ضرب الله المثل الأول يحذر عائشة (٣) وحفصة (٤) ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة ، وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم (٥) أيضاً اعتباراً آخر وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً . قذف (٦) اعداء الله تعالى اليهود لها (٧) فبنسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله عنه كونها الصدّيقة الكبرى المصطفاة على نساء

(١) في [ب] و[ت] : ولهذا انما ضرب في هذه السورة

(٢) انظر زاد المسير ٣١٥/٨ / وهو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي مفسر وفقيه وعالم بالحديث واللغة ت سنة ٢٠٠ هـ .

(٣) عائشة / هي ابنة أبي بكر الصديق ، تزوجها الرسول ﷺ وكانت تكنى بام عبد الله . ماتت سنة ثمان وخمسين ودفنت بالبقيع .
انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر جزء (٤) ص ٤٥٩ .

(٤) حفصة / هي ابنة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وكانت قبل أن يتزوجها الرسول الكريم ﷺ عند معن بن حذافة وكان ممن شهد بدرا ومات بالمدينة وتزوجها الرسول بعد عائشة رضي الله عنها وماتت لما بايع الحسن معاوية .
انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٣٧٣ / ٣٧٤ .

(٥) زائدة في [ب] و[ت] .

(٦) قذف : التقاذف الترامي جزء (٣) ص ٥٧٧ / نفس المصدر .

(٧) في [ب] و[ت] : قدح .

العالمين . فلا يضر الرجل الصالح قذف الفجار والفساق فيه وفي هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين(١) إن كانت السورة نزلت بعد قصة الأفك وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها كما في التمثيل(٢) بامرأة نوح ولوط تحذيز لها ولحفصة ما اعتمدتاه في حق النبي ﷺ فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد والتسلية وتوطين النفس لمن أوذى منهن وكذب عليه ، وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون .

تمت بحمد الله وحسن توفيقه ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . اللهم أغفر لكاتبها ولقارئها ومتدبرها حق تدبرها ولمصنفها وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين والحمد لله رب العالمين .

بقلم الفقير إلى ربه تعالى ، علي بن زيد آل بليّس(٣) غفر

---

(١) قال تعالى : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتكم﴾ سورة الأحزاب الآية : ٦ .

- ﴿أزواجه امهاتكم﴾ أي منزلات منزلة الأمهات في التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها (لسنا أمهات النساء) .

راجع تفسير أبي السعود الموجود على هامش تفسير الفخر الرازي جزء (٧) ص ٤٣٣ .

(٢) في [ت] في ذكر التمثيل وفي [ب] ذكر التمثل .

(٣) غير واضحة في [أ] و[ب] و[ت] وشبه واضحة في [ث] .

الله له ولوالديه ولجميع المسلمين .

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة يوم الأربعاء ، أحد شهور سنة ست وسبعين بعد المئتين والألف من هجرته عليه أفضل الصلاة والسلام .

جريدة المصادر والمراجع

ـ أ ـ

ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية . ابن القيم . الإمام بالقاهرة .

ـ أخبار النساء / ابن القيم / تحقيق / نزار رضا / مكتبة الحياة / بيروت .

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / لابن السعود الموجود على هامش الرازي .

ـ أساس البلاغة / للزمخشري / الشعب / القاهرة .

ـ أسرار التكرار في القرآن الكريم / للكرماني / تحقيق عبد القادر عطا / دار الاعتصام السعودية .

ـ الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر العسقلاني / مؤسسة الرسالة / بيروت .

ـ الاعلام لخير الدين الزركلي / ط ٣ / دار العلم للملايين ١٩٦٩ م بيروت .

ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين . لابن القيم . تحقيق عبد الرحمن الوكيل القاهرة / ١٩٦٩ م .

ـ إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان / لابن القيم / تحقيق محمد جمال الدين القاسمي / النهضة الجديدة / القاهرة .

ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / لابن القيم / صححه / محمد سعيد كيلاني الحلبي / القاهرة ١٩٦١ م .

ـ الأمثال / أبي سعيد بن أوس الأنصاري .

ـ الأمثال / للثعالبي / المكتبة الأحمدية / تونس تحت رقم (٤٧٩٤) القرن الحادي عشر .

ـ الأمثال العربية القديمة / رودلف زلهايم / ترجمة رمضان عبد التواب مؤسسةالرسالة بيروت .

ـ الأمثال لصحاري بن العياش العبيدي / ذكره ابن النديم في الفهرست .

ـ الأمثال / لعبيد بن شريه الجرهمي / ذكره ابن النديم الفهرست .

ـ الأمثال / لعلاقة الكلافة / ذكره ابن النديم في الفهرست .

ـ أمثال الشرق والغرب / يوسف البستاني وصلاح البستاني / دار العرب القاهرة .

ـ أمثال القرآن / تحقيق د . ناصر بن سعد الرشيد / دار مكة .

ـ أمثال القرآن / للجنيد بن محمد القواريري ت ٢٩٨ هـ .

ـ أمثال القرآن / لمحمد بن الحسين السليمي ت ٤١٢ هـ .

ـ أمثال القرآن / نفطويه ت ٣٢٣ هـ .

ـ أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي / إلى القرن الثالث الهجري نور الحق تنوير / رسالة ماجستير .

ـ الأمثال القرآنية / علي بن محمد الماوردي .

ـ الأمثال الكامنة في القرآن والسنة / الحسن بن الفضل .

ـ الأمثال القرآنية / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني / دار القلم

بيروت .
- إيضاح المكنون من الذيل على كشف الظنون / طبعة قاسم محمد رجب.

- ب -

- بدائع الزهور من وقائع الدهور / محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري .
- بدائع الفوائد / ابن القيم / الفجالة الجديدة / ١٩٧٢ م .
- البداية والنهاية / عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير / بيروت ١٩٦٦ م .

- ت -

- تاريخ الأدب العربي / لكارل بروكلمان .
- تاريخ الجهمية والمعتزلة / جمال الدين القاسمي / مؤسسة الرسالة بيروت .
- التبيان في أقسام القرآن / ابن القيم / تعليق طه شاهين / دار الطباعة المحمدية الرياض ١٩٦٨ م .
- ترتيب القاموس المحيط / أحمد الزاوي / دار الفكر بيروت .
- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص / جلال الدين السيوطي / تحقيق محمد الصباغ بيروت / المكتب الإسلامي .
- تحفة المودود باحكام المولود / لابن القيم / المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- تفسير الإماميين الجليلين / المعروف بتفسير الجلالين / جلال الدين

المحلي وجلال الدين السيوطي / ط محمد علي صبيح / القاهرة .
ـ تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء بن كثير / احياء الكتب العربية / مصر .
ـ التفسير القيّم / لابن القيم / تحقيق / محمد حامد الفقي / السنة المحمدية / القاهرة سنة / ١٩٤٩ م .
ـ التفسير الكبير / للفخر الرازي .
ـ تفسير المعوذتين / ابن القيم / مطبعة الفجالة الجديدة / ١٩٧٢ م .
ـ تفصيل آيات القرآن الكريم / جول لابوم / ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي / دار الكتب العربية بيروت .
ـ ابن تيمية / محمد يوسف موسى / دار مصر للطباعة / مصر / ١٩٦٢م .

ـ ج ـ

ـ جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام / لابن القيم / دار الطباعة المحمدية مصر ١٩٦٨ م .
ـ جمهرة الأمثال / العسكري / أبو هلال حسن بن عبد الله / ت ٣٩٥هـ .
ـ جمهرة الأمثال البغدادية / عبد الرحمن التكريتي / بغداد .
ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي / لابن القيم / تعليق محمد فايد مكتبة صبيح / القاهرة .
ـ جوهرة الأمثال / لابن عبد ربه ت ٣٢٨ هـ / المكتبة الأحمدية / تونس تحت رقم (٤٧٩٢) .

ـ ح ـ

ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح / ابن القيم / مطبعة الدجوي

القاهرة / ١٩٧١ م .
- حدائق الأمثال العامية / فايق حسين فتحي بك ج٢ / مطبعة أمين / القاهرة ١٩٣٩ .
- الحياة العقلية من عصر الحروب الصليبية بمصر والشام / أحمد بدوي / الهيئة المصرية العامة بالقاهرة / ١٩٧٣ م .
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني .
- الحروب الصليبية / والغزو المغولي / د / محمد حماده / مؤسسة الرسالة .

- د -

- الداء والدواء / ابن القيم / تحقيق محمد غازي / القاهرة / مطبعة المدني .
- دائرة المعارف الإسلامية / إبراهيم خورشيد وآخرون / مطبعة الشعب .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / لابن حجر العسقلاني / ت ٨٩هـ / تحقيق محمد جاد الحق / مطبعة المدني / القاهرة / ١٩٦٦ م .
- دليل الكتاب المصري في معرفة المخطوط والمطبوع / ١٩٧٤ م .
- الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها / عبد الحميد العيادي / محمد زيادة مصر / المطبعة المصرية / ١٩٥٤ م .

- ر -

- الرد على الزنادقة والجهمية / أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل / مطبعة الإمام / مصر .

ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين / لابن القيم / دار الباز / مكة .
ـ الروح / ابن القيم / مطبعة محمد علي صبيح / القاهرة / ١٩٦٦ م .
ـ رسالة في الحلم / شارل بلّا / دار الكتاب الجديد / بيروت .

ـ ز ـ

ـ زاد المعاد من هدي خير العباد / لابن القيم / المطبعة المصرية / مصر / ١٣٧٩ هـ .
ـ زبدة الأمثال / للزمخشري / المكتبة الأحمدية / بتونس تحت رقم ٥٦٤٥ .

ـ ش ـ

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب / ابن العماد الحنبلي / مكتبة الحياة بيروت .
ـ شرح القصيدة النونية / لابن القيم / محمد هراس / مطبعة الإمام / مصر .
ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / ابن القيم دار المعرفة / بيروت .
ـ شرح الشروط العمرية / ابن القيم / تحقيق الدكتور صبحي الصالح
ـ شرح أحكام أهل الذمة / ابن القيم / تحقيق الدكتور الشيخ صبحي الصالح .

ـ ص ـ

الصلاة وحكم تاركها / لابن القيم / إدارة ترجمان السنة باكستان /

- ط -

- الطب النبوي / لابن القيم / تحقيق / عبد المعطي قلعجي / دار التراث / القاهرة .
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية / ابن القيم / تحقيق محمد الفقي / السنة المحمدية سنة ١٩٥٣ م .
- طريق الهجرتين وباب السعادتين / لابن القيم / تحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلفية / مصر / ١٣٩٤ هـ .
- طوق الحمامة / أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ابن حزم) مطبعة المدني مصر / ١٩٧٥ م .

- ع -

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين / ابن القيم / مطبعة الإمام / القاهرة / ١٩٧٢ م .

- غ -

- الغربة والاغتراب / لابن القيم / الطباعة المنيرية / مصر / ١٣٥١ هـ .

- ف -

- الفروسية / لابن القيم / دار الكتب العلمية / بيروت .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال / لأبي عبيد البكري / تحقيق

د . إحسان عباس / مؤسسة الرسالة / بيروت .
- فهرس مخطوطات الجامعة اليسوعية / المكتبة الشرقية .
- فهرس مكتبة الإمام (مخطوطات) تحقيق محمد مهدي .
- فهرس مكتبة مخطوطات الانغورلي / النجف .
- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية .
- فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف الإسلامية / بغداد .
- الفهرست / لابن النديم / ت ١٣٨٥ .
- الفوائد لابن القيم / مطبعة العاصمة / مصر .
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان / ابن القيم / صححه محمد النعساني مطبعة السعادة / مصر ٣٢٧ .

- ق -

- قائمة المطبوعات العربية / دار الشوربجي .
- القاموس المحيط / محمد الدين الفيروز بادي / مؤسسة الطباعة / بيروت .
- ابن القيم الجوزية / عصره ومنهجه وآراؤه / عبد العظيم شرف عبد السلام / دار القومية دار العربية للطباعة / ١٣٨٧ هـ .
- ابن القيــم وموقفه من التفكير الإسلامي / عوفي حجازي / الشركة المصرية للطباعة ١٩٧٢ م .

- ك -

- الكامل لابن الأثير .
- الكشاف للزمخشري .
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون / مصطفى خليفة .
- كيف تكتب بحثاً أو رسالة / أحمد شلبي / ط ٦ / ١٩٦٨ / مكتبة النهضة / مصر .

- ل -

- اللباب في تهذيب الأنساب / لابن الأثير .
- لسان العرب / لابن منظور / الدار المصرية للتأليف / مصر .
- المثل المقارن د . ممدوح حقي / دار النجاح / بيروت .

- م -

- المثل العامي / منير القاضي / بغداد .
- المثل في القرآن / منير القاضي / بغداد .
- مجمع الأمثال / للنيسابوري الميداني / دار مكتبة الحياة بيروت .
- مختار الصحاح / للرازي .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / لابن القيم تحقيق / محمد الفقي / دار الكتاب العربي / بيروت / ١٩٧٢ م .
- المدهش / محمد جعفر الجوزي / ت ٥٩٧ / دار الجليل / لبنان .
- المستقصى من أمثال العرب / للزمخشري / دار الكتب العلمية بيروت .

- مشكل أعراب غريب القرآن / لطالب القيسي / تحقيق حاتم صالح / بغداد .
- معجم غريب القرآن / جمع / محمد فؤاد عبد الباقي / دار المعرفة بيروت ط ٢ / ١٩٧٧ م .
- معجم المخطوطات المطبوعة / صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد / بيروت .
- معجم المخطوطات النجفية منذ دخول الطباعة إلى النجف / من سنة ١٩٦٦ م .
- معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف الياس سركيس / ١٩١٩ م
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف / لجماعة من المستشرقين / بريل / سنة ١٩٦٧ م . ليدن .
- ميزان الاعتدال للذهبي / دار المعرفة / بيروت .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي / دار احياء التراث بيروت .
- معجم المؤلفين / عمر كحالة / دار احياء التراث / بيروت .
- مفتاح دار السعادة ومنثور ولاية العلم والإرادة / لابن القيم / دار المعهد الجديد للطباعة .
- مفتاح الراحلين إلى رياض الصالحين / مصطفى السقا / مطبعة البلاغة / حلب .
- مفتاح السعادة في موضوعات العلوم / بطاش كبرى زاده / تحقيق كامل بكري . دار الكتب الحديثة / مصر .

ـ مفردات غريب القرآن / للراغب الاصفهاني .
ـ منهج ابن القيم في التفسير / محمد السنباطي / المطبعة الأميرية / ١٩٧٣ م ١٣٩٣ هـ .

ـ هـ ـ

ـ هدية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى / لابن القيم / الرياض ضمن مجموعة في كتاب الجامع الفريد .

ـ و ـ

ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب / لابن القيم / دار الزيني للطبع / مصر / ١٣٧٧ هـ .
ـ الوسيط في الأمثال / لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي / ت ٤٦٨ هـ تحقيق عفيف عبد الرحمن / دار الثقافة الكويت .

الفهـرس

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الفصل الأول من تحقيق كتاب الأمثال في القرآن الكريم لابن القيّم الجوزية

ويشتمل على ...

الفصل الثاني

ويشتمل على ...

الفصل الثالث

ويشتمل على :

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع